الرّدّ المبينْ عَلى شُبهاتِ المُستشرِقينْ حَول السُنة المحمدية

(بحث لنيل شهادة المولوي في قسم الدراسات الشرعية في كلية ابن عباس العربية)

إعداد الطالب :

محمد عرفان بن زين العابدين

أشرف عليه :

الأستاذ أبو محمد دين الحسن بن وهاب الدين البهجي

٢٠٠٩م / ١٤٣١هـ

كلية بن عباس العربية
جالي-سريلانكا

بسم الله الرحمن الرحيم

{وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى }

النجم :٣- ٤

{ ياأيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول }

النساء :٥٩

((تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي))

[رواه الإمام أبو داود]

((صلوا كما رأيتموني أصلي))

[رواه الإمام البخاري]

((خذوا عني مناسككم))

[رواه الإمام مسلم]

حتم على المسلمين إت ♈ تباع هـ ـدي ال ـ رسول

لأن ـه أص ـ لنا الثا ♈ ني في الشرع من رسول

محبـه فـي الجن ـان ♈ ي وم القيام ـ ة ظفي ـ را

وك ـ اره ـ ه ذل ـ يلا ♈ فـي النار ي وم الم عاد

نرج ـ و من الله توفي ♈ قـ ه لرش ـ د الع ـ وام

(من المجتث)

الطالب : محمد عرفان

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي،ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد .

{ ياأيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } .

{ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ويث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا } .

{ياأيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما } .

وقد اتفق المسلمون على أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القران الكريم .ولهذه المنزلة العظيمة التي تتبوؤها السنة كانت ولا من علماء تزال محل عناية كبيرة المسلمين .

وظهرت في بعض الفترات فرق وطائف منحرفة أنكرت السنة والاحتجاج بها . فمنهم من أنكر السنة النبوية صراحة . وفريق آخر رأى الحجية في نوع منها دون غيره وكلا الأمرين بلا شك إنحراف عن ج ادة الطريق ومن الط وائف التي أنكرت السنة جملة وطعن فيها المستشرقون وكان جهدهم محاولة القضاء على الإسلام وهدم أصوله وأركانه .ولم يغب عنهم أن السنة هي المصدر الثاني في التشريعي بعد القران الكريم وأهميتها .وكانت السنة توضيحا ،وبيانا للقران ولذا طعنوا فيها وأثا روا الشبهات حولها وقد تأثر هذه على بعض المسلمين أيضا .وسنقوم بإذن الله تعالى في هذا البحث بالرد على شبهات هؤلاء .

فلما كان سلوك كليتنا ابن عباس العربية على طريق الإلزام لمن أراد التحصيل بعد إتمام المناهج العلمية تقديم بحث تحت موضع معين فاخترت موضوع "الرد على شبهات المستشرقين حول السنة "للأسباب الاتية .

١ - لقوله صلى الله عليه وسلم : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .
٢ - كون السنة مصدرا ثانيا في التشريعي الإسلامي بعد القرآن .
٣ - تقليد المسلمين حضارات الغربيين بدلا عن حضارات الإسلامية .
٤ - خطيرة الاستشراقية
٥ - أهمية اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن الجدير بالتقديم هنا الشكر والتقدير ومن أجل ذلك أشكر الله تعالى أولا وأثنى عليه لما أعطاني هذه الفرصة القيمة من كتابة بحث تحت موضوع حينما يتخرج كثيرمن طلبة العلوم الشرعية بلا بحث . ومع شكري له جزالة الشكر والتقدير .

أقدم الشكر الخالص للأساتذة الذين كان لهم دور كبير في نشأةعلمي وتربية نفسي ،والتوجيه في ظل الكتاب والسنة . خاصة للشيخ المدير الأستاذ المشرف أبي محمد دين الحسن بن وهاب الدين البهجي .هو الذي قام بتعليم منهج البحث وأشرف على بحثي هذا أحسن إشراف بالتفرغ له . رغم كونه مشغولا جدا بمهام الإدارة فجزاهم الله خيرا الجزاء في الدارين . امين .

الطالب

محمد عرفان بن زين العابدين

كلية ابن عباس العربية – جالي

خطة البحث

مقدمة

خطة البحث

الباب الأول : الإستشراقية ،وفيه خمسة فصول .

الفصل الأول : الإستشراق تعريفه ، وتاريخه .

الفصل الثاني : الإستشراق أهدافه ، وأغراضه .

الفصل الثالث : السنة في مفهوم المستشرقين .

الفصل الرابع : إيجابيات الإستشراق .

الفصل الخامس : تأثير لأفكار الإستشراق ودعاياتهم في العالم الإسلامي .

الباب الثاني : السنة النبوية في التشريع ، وفيه أربعة فصول .

الفصل الأول : السنة وتعريفها .

الفصل الثاني : الحديث وأنواعه .

الفصل الثالث : الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي .

الفصل الرابع : حجية السنة .

الباب الثالث : شبهات المستشرقين على السنة قديما وحديثا والرد عليها .

الشبهة الأولى : قولهم بأن الكتاب قد حوى كل شيئ من أمور الدين بحيث لايحتاج إلى شيئ اخر مثل السنة لقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيئ) .....

الشبهة الثانية : قولهم أن الله تعالى تكفل بحفظ القران دون السنت ولو كانت السنة حجة ودليلا مثل القران لتكفل بحفظها أيضا .

الشبهة الثالثة : شبهتهم في تدوين الأحاديث .

الشبهة الرابعة : أقوال وافتراءات للمسلمين حول أسباب وضع الحديث

الشبهة الخامسة : إن السنة لم تكن شرعا عند النبي صلى الله عليه وسلم

الشبهة السدسة : قولهم لو كانت السنة حجة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها ولعمل الصحابة والتابعون من بعد على جمعها وتدوينها .

الشبهة السبعة : تمسكهم بأخبار منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تؤيد بحسب زعمهم ما ذهبوا إليه من عدم الاحتجاج بالسنة ووجوب عرض ما جاء فيها على

كتاب الله .

الشبهة الثامنة : التعارض بين السنة والقران في الكثير .

الشبهة التاسعة : أن حملة السنة من الصحابة كانوا جنودا للسلاطين والملوك ويضعو ما يوافق عليهم .

الشبهة العاشرة : اختلاف المحدثين في التوثيق والتضعيف .

الشبهة الحادية عشرة : أن نقد المحدثين اقتصر على نقد الإسناد ولم يشمل نقد المتون .

الشبهة الثانية عشرة : الطعن في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم .

الشبهة الثالثة عشرة : الطعن في أحاديث النبوية سندا ومتنا .

الشبهة الرابعة عشرة : الطعن في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم .

الخاتمة

الفهارس

الباب الأول : الاستشراقية، وفيه خمسة فصول .

الفصل الأول : الاستشراق تعريفه، وتاريخه .

الفصل الثاني : الاستشراق أهدافه ، وأغراضه .

الفصل الثالث : السنة في مفهوم المستشرقين .

الفصل الرابع : ايجابيات الاستشراق .

الفصل الخامس : تأثير أفكار المستشرقين ودعاياتهمفي العالم الإسلامي.

الباب الأول : الاستشراقية

الفصل الأول :الاستشراق :تعريفه وتاريخه

الاستشراق أو الدراسات الاستشراقية مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة .ولقد كان الإستشراق وميدان الدراسات الاستشراقية في بداية ظهوره مقتصرا عل ى دراسة الإسلام وحضارته واللغة العربية وآدابها .ثم بعد ذلك استعت مجالات الاستشراق وأصبحت تشمل دراسة الشرق كله لغاته وأديانه وتقاليده وآدابه،ولكن أهم ما أعتنى به المستشرقون في دراساتهم هو الدين الإسلامي واللغة العربية لأن ذلك مثار اهتمامات المستشرقين الأول و الكبير والذي يمثل نزاع الفكري والسياسي والعقائدي الذي يسود عصرنا الحالي .

وقد كان ميكائيل انجلو جويدى وهو أحد المستشرقين موضحا لفكرة الاستشراق بأنه جهود عملية مطلقة مع كل ما للعلم الحديث من مقتضبات وموجبات وروح طلقةوأنه جهود نقدية محللة ناخلة ومغربلة تتجلى فيها روح النقد العلمى المقارن دون مراعاة أو محاباة لأى عامل من العوامل الأثرة والغرض والواقع أن الاستشراق عند بحثه في الإسلام يتنكر لهذا المنهج فتعمل المحاباة العاطفية عملها بصورة تكاد تكون دائمة وثابتة فيضترب البحث ويختل ويحيد عن الصواب .[1]

إن الاستشراق كه انة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث وهي ابعد ما تكون عن بيعة العلم والتجرد وجمهرة المستشرقين مستأجرون لاهانة الاسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه .

والمستشرق هو في العموم من ابناء اليهود أو النصارى ومن سار على نهجهم واهتدى بضلالهم من غير اليهود وا لنصارى من أبناء المسلمين المستغربين الذين خرجوا على دين الاسلام لأنهم يتفقون مع الاستشراق في آرائه وأفكاره ولقد كان غالبية المستشرقين في بداية ظهور الدراسات الاستشراقية من الرهبان والقسس والمبشرين وكان بعضهم من الذين اهتموا بدراسة اللاهوت وأمثال هؤلاء كان يهمهم ارساء نهضة الكنيسة وتعاليمها خصوصا في العصور الوسطى أي الرهبان في العصور اللاحقة الذين يهتموا بالتبشير والمساهمة في تذليل الصعاب أمام الاستعمار وتسهيل مهمته في القضاء على الاسلام تجسسية أو مؤامرات تخريبية .[2]

تاريخه:

أن تحديد تاريخ الاستشراق وزمن ظهوره من الامور الصعبة التي تواجه كل باحث في هذا الشأن وبعضهم مثلا يرى أن ظهور الدراسات الاستشراقية يعود إلى تاريخ دخو المسلمين إلى اسبانية وجنوب ايطاليا وسقلية في العصور الوسطى وهذا الامر لفت أنظار أهل تلك البلاد إلى أحوال المسلمين والى الحركة الاسلامية فعكفوا على دراسة المسلمين وتاريخ الدعوة الاسلامية وأهدافها لذلك من هنا يمكن القول بأن الدراسات الاستشراقية بدأت منذ ذلك الزمن بينما يرى بعض آخر أن القرن الثالث عشر الميلادي هو الزمن المشهور الذي بدأت فيه محركة المستشرقين والدراسات الاستشراقية

[1] . مجلة المنهل : (ص : ١١٧)
[2] .الاستشراق والمستشرقين : في باب ما هو الاستشراق ومن هم المستشرقون (ص : ١٧)

وقد ذكر أحد الكتاب آراء مختلفة عن نشأة الاستشراق،واستعرض أقوالا متعددة منها أن الاستشراق ظهر في القرن العاشر الميلادي ويقول بعضهم أنها أي الدراسات الاستشراقية بدأت في أعقاب الحروب الصليبية .وهناك من يعتبر أن الحملة الفرنسية على مصر وغيرها من بلاد الشرق في سنة (١٢١٣م_ ١٧٩٨م)هي البداية الحقيقية للاشتراق وهناك من يقول إن إن الاستشراق بدأ بصفة جديدة بعد فطرة عهد الاصلاح الديني في أوربا أي في نهاية القرن السادس عشر الميلادي وبداية القرن السابع عشر الميلادي ذلك أن النواة الأولى للدراسات الاستشراقية كانت قد بدأت في عصور وقرون سابقة لم تسمع لها الظروف بالظهور والعمل بصورة موجهة ومنتظمة عهد الاصلاح الدينيي .

في حين يرى أحد المستشرقين وهو يوهان فوك أن الاستشراق إنما ارتبط بالحروب الصليبية،وأن المستشرقين الأوائل كانوا يرون في عملهم أنه نوع من الجهاد والكفاح ضد الإسلام .

ويقرر روي بارت في قول له عن تاريخ الاستشراق :إذا نظر المرأ إلى الوراء إلى تاريخ تطور الاستشراق ولم يتردت في التبسيط رغبة في زيادة الوضوح فإنه يستطيع أن يقول إن بداية الدراسات العربية الإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر ففي عام (١١٤٣م_ ٥٢٨هـ)تمت ترجمة معاني القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأدب بيتروس فينيرا بيليس رئيس دركلوني .وكان ذلك على أرض أسبانية .وفي القرن الثالث عشر أيضا نشأ أول قاموس لانيني عربي .وفي القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر بذل رايموندوس لالوس — المولود في جزيرة ميورقة جهودا كبيرة لانشاء كراسي لتدريس اللغة العربية .وكان قد تعلم اللغة العربية على يد رجل عربي .وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير وهو اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الاسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي .ويمكن الاطلاع على هذا الموضوع بتفصيلاته في الكتاب الكبير الذي وض عه نور من دانيل باسم (الاسلام والغرب).[٣]

معنى كلمة الإستشراق بالإنجليزية :

الإستشراق هو اشتغال طائفة من الباحثين الغربيين بدراسة علوم الشرق وحضاراته واديانه .وقد غلب إطلاق اسم المستشرقين على الكتاب الغربيين الذين يكتمون عن الإسلام وعقيدته وتاريخه وحضارته .[٤]

[٣] .الاستشراق والمستشرقون : في بلبب ما هو الاستشراق ومن هم المستشرقون (ص: ٢٥-٢٦)
[٤] .العقيدة والأديان : (ص :١٣١)

الفصل الثاني :الاستشراق أهدافه وأغراضه :

أن من أهداف المستشرقين العمل على الوقوف في وجه الشعوب التي لا تدين بالاسلام ليمنعوهم من الدخول في دين الله الحق الدين الاسلامي بما يعملون جاهدين في تشويه الاسلام وتغيير الصورة الحقيقة لهذا الدين الحنيف .وإظهار الاسلام بصورة محرفة ومستكرهة أما م الشعوب غير المسلمة بقصد صدهم عن سبيل الله وما نزل من الحق وردهم عن الدخول الى دين الاسلام .إنما اعتمد المستشرقون فيه على استغلال الكراهية والتعصب الموجود بين الغربيين وأتباعهم منذ الحروب الصليبية من ذلك العمل على رد ا لمسلمين عن الاسلام واجبارهم على الكفر وقبول النصرانية أو اليهودية كدين أمثل أفضل من دين الاسلام وهذا ما يشير اليه معظم المستشرقين أنفسهم .

أن المستشرقين _كما اسلفنا_هم من أبناء اليهود والنصارى أو ممن يحقدون على الاسلام،فلهم آمال وأماني لا برهان لهم فيها لهذ ا فهم يعملون على تشويه حقيقة الاسلام واظهاره بغير مظهره الحقيقي .بمظهر غير لاحق في مقابل اليهودية والنصرنية ويقولون وكأنهم ملكوا مفاتيح الجنة بأن لا يدخلها الا اليهود والنصارى .والقصد من هذه كله هو خلق روح التخاذل والشعور بالنقص في نفوس أبناء الأمة الاسلامي ة وهذا الهدف من أهم الأهداف التي يسعى اليها المستشرقون وهو أن يجعلوا الناس يكفرون بالحق ليشرحوا صدورهم للباطل والكفر .

وهذا هو شأن المستشرقين يريدون بالاسلام السوء بما يبذلون من جهد كله كذب وافتراء فمن تبعهم فهو منهم .

وإذا كان من أهداف الاستشراق التشكيك وإث ارة الشبهات حول الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم بقصد إثارة الفتن بين المسلمين فلا غرابة في ذلك لأن الاستشراق منذ ظهوره حتى العصر الحالي وهو وثيق الصلة بالمؤسسات التبشيرية والأوساط السياسية ذات الأغراض الاستعمارية تعتمد على إثارة الفتن من مبدأ "فرق تسد ".

ولنعلم أنه إذا كان قصد المستشرقين هو التشكيك وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذا القصد ليس بجديد على الدعوة الإسلامية أن هذا الأمر المتضمن التشكيك والقدح في الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو إفك مفترى . وملم قاله المشركون والكفار في العصور الغابرة مجملا ومختصرا جاء المستشرقون ليفصلوا ما أجمل فلم يأتوا الجديد إذ أن من طمس الله على قلبه في أي زمن من الأزمنة لا يقول إلا مثل ما قال الأولون .

وبعض المستشرقين اهتموا بدراسة اللغة العربية وآدابها والقصد من هذا الت نظيم الأكاديمي والتخصص هو أن يكون عمل كل مستشرق في مجال فنه مكملا لأعمال الآخرين لتكون لدى الهيئات التبشيرية .والمنظمات السياسية ممثلا في وزارات الدفاع ووزارات الخارجية صور متكاملة تساعد على التخطيط السليم بما يؤدي إلى تدمير المسلمين والدين الاسلامي.[٥]

إن هذا التخصص وأمثاله من التخصصات الدقيقية يعكس لنا النوايا السيئة التي يكنها الغرب للقضاء على الاسلام والمسلمين فهم لا يزالون يقاتلوننا حتى نوليهم الأدبار ونرتد على ديننا .لماذا لا تهتم الدراسات الاستشراقية بدراسة

[٥] . الاستشراق والمستشرقون : في باب أهداف الاستشراق وأعراضه (ص: ٣٧)

النظام الأسري في الاسلام؟ إذا كان زعم الاستراق هو البحث العلمي والتمحيص الأداكيمي .فالقصد ليس البحث العلمي ولكنه الحرب الفكرية والهدم العقائدي .

ومن الملاحظ أن للدراسات الاستشراقية أهدافا ظاهرة وأخرى غير ظاهرة . فالاهداف الظاهرة تبدوا للانسان وكأنها الحق والصواب لما فيها من النزاحة وحسن النية في خدمة الاسلام وتراثه بما يقوم به المستشرقون من أعمال الترجمة والفهرسة،والكشف،والجمع والنشر والتحقيق،والتأليف والتصنيف،وتخصيص بعض المجلات الدورية باسم الاسلام والشرق وعقد المؤتمرات والندوات .كل هذه الأمور تعكس مدى الاهتمام بالاسلام وخدمته مما لا نظيرله لدى المسلمين .فكيف يشك الانسان في مثل هذه الأعمال؟ ولكن تحت هذه الأهداف الظاهرة أهداف غير ظاهرة يتسلل المستشرقون تحت ستارها إلى تحقيق أغراضهم السيئة وهي الأهداف الحقيقية للاستشراق تلك إلى تعنى بالإساءة الى الإسلام و القدح في الشريعة وتعاليمها والتشكيك في نبوة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته واظهار الشبهات حول كتاب الله العزيز .

وعموما فان المستشركين يذهبون الى ان الشريعة الاسلامية بمصادرها المعروفة من كتاب وسنة واجتهاد انما هى من وضع البشر فخلطوا بين المصادر الالهية المعتمدة علىالوحى وجعلوامنها شبها للقوانين الوضعية والمعتقدات التى وضعها الإنسان.

إن أهداف الدراسات الاستشراقية العمل على إيجاد الاضطراب في التشريعات والأحكام الإسلامية فهم يخوضون في أبحاثهم في قضايا أحكامها في منتهى الوضوح المدعون بأدلة العقل والنقل . فهم يبحثون في قضية تعدد الزوجات ون ذلك مرده حب النسا ء وأن هذا الأمر مسئلة جنسية بحتة .

ومن أهداف الدراسات الستشراقية العمل على إثارة الفتن وإحياء النعرة والعصبيات المذهبية والنزاعات الطائفية والعقائدية بين الفرق التي وجدت عبر عصور التاريخ الإسلامي مثل النزاعات التي قامت بين أهل السنة والمعتزلة في فتنة خلق القرآن وقضايا العذاب ، وأقوال المتعلمين والأقوال الواردة في البدع وأمور الخلافة بعد مرور قرون طويلة على هذه الخلافات والتي تكاد تنسى بين المسلمين إلا أن النوايا السيئة والأهداف الفسدة التي دفعت المستشرقين للخوض في مثل هذه القضايا سبيل من أهم السبل التي عمل الاستشراق على إحداثه بقصد إيجاد الشقة والفرقة وإثارة الفتن بين صفوف المسلمين وبمعالجة هذه القضايا في الكتابات الاستشراقية ينتهي المستشرقون إلى تقسيم المسلمين إلى أحزاب وفرق وطوائف ثم يصفون علاجا لهذا التفكك وهو التزام المذاهب الطرقية المتصلة بالصوفية التي عادة ما تنتهي إلى الرهبانية والخنوع .[٦]

والتهدف من الدعوة إلى الصوفية وطرق التصوف هو صرف الناس عن الجهاد وإعمال الفكر وتحريك الذهن إذ أن الجهاد وتحريك الذهن من أكثر الأمور التي تخيف الصليبيين وتفزعهم والتصوف يساعد على تحقيق أهم أهداف التبشير والاستشراق وهو ع دم توسع دائرة الإسلام وانتشاره بسبب انشغال الناس في مظاهر عبادية تتعلق بالرهبنة والتصوف وبهذا يتسنى نشر المسيحية واليهودية والعقائد الهدامة المحرفة المضللة والتي تعود بنتائج سيئة فيها هلاك الأمم ودمارها وهي اتجاهات أثبتت فشلها في جميع مجالات الحياة خصوصا في البلاد الإسلامية فلم تنجح الاشتراكية واللبرالية ولا الرأسمالية فقد فشلت كلها اقتصاديا، وعسكريا ، وروحيا ، وأخلاقيا .

[٦] . الاستشراق والمستشرقون : في باب أهداف الاستشراق وأعراضه (ص:٥٢)

وقبل الإسهاب في إلقاء الضوء على مزيد من أهداف الدراسات الاستشراقية يجدر بنا أن نلخص للقارئ ما سبق ذكره في أطر رئيسية توضح أهداف الاستشراق في جمل مختصرة

١. إثبات بطلان الإسلام كدين وأنه قوة سياسية قامت على القمع والإرهاب ونشر عقائد فاسدة رغم الصعوب على قبولها بحد السيف فأخضع الناس دون رغبة منهم إلى دين مزعوم وهو بذلك أي الدين الإسلامي عبارة عن سلسلة مخيفة من سفك الدماء والمذابح والحروب وأن الإ سلام ليس إلا مزيجا مشوها من الآراء والقوانين والمدركات الخاطئة.

٢. إثبات عدم صحة دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأن الكتاب والسنة إنما هو من وضعه عليه الصلاة والسلام وأن التشريع الإسلامي مبني على أسس بعض الحضارات القديمة والقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم عابد أصنام وأحد كذابي مكة .

٣. مسخ حقيقة العرب ولغتهم وتراثهم العربي وبالتالي الإنقاص من شأن حضارة العرب والمسلمين لتحقير حال العرب لأن النبي صلى الله عليه وسلم عربي قرشي وبالتالي تحقير اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم .[٧]

هذه هي خلاصة الأهاف الرئيسية التي تقوم عليها الدراسات الاستشراقية إلى جانب بعض الأهداف الأخرى .

الفصل الثالث : السنة في مفهوم المستشرقين :

يقول جولد تسيهير عن مفهوم السنة : هي جوهر العادات وتفكير الأمة الإسلامية قديما وتعد شرحا لألفاظ القرآن الغامضة التي جعلتها أمرا عمليا حيا.

كما يقول أيضا هذا المستشرق : " ما من أمر أو فعل يوصف عندهم بالفضل أو العدالة إلا إذا كان له أصل في عاداتهم الموروثة أو كان متفقا معها وهذه العادات التي تتألف منها السنة تقوم عندهم مقام القانون أو الديانة كما أنهم كانوا يرونها المصدر الوحيد للشريعة والد ين ويعدون إطراحها خطأ جسميا ومخالفة خطيرة للقواعد المعروفة والتقاليد المرعية التي لا يصح الخروج عليها وما يصدق على الأفكار الموروثة ، والجماعة يتحتم عليها أن لا تقبل في هذا المجال شيئا جديدا لا يتفق مع آراء أسلافها الأقدمين ".

ثم يقول : " فكرة السنة يمكن إد راجها بين الظواهر التي سماها سنبسر بالعواطف القائمة مقام غيرها وهي النتائج العضوية التي جمعتها بيئة من البيئات خلال الأجيال والأحقاب ، والتي تركزت وتجمعت في غريزة وراثية تتألف منها الصفة أو الصفات التي يتوارثها أفراد هذه البيئة ".[٨]

ثم يتطرق هذا المستشرق إ لى تحديد مفهوم الحديث يفصله عن مفهوم السنة بقوله إن الحديث " الشكل الذي وصلت به السنة إلينا فهما ليسا بمعنى واحد وإنما السنة دليل الحديث ، فهو عبارة عن سلسلة من المحدثين الذين يوصلون إلينا هذه

---

[٧] . الاستشراق والمستشرقون : في باب أهداف الاستشراق وأعراضه (ص:٥٤)

[٨] . http://www.shamela.ws

الأخبار والأعمال المشار إليها طبقة بعد طبقة مما ثبت عند الصحاب ة أنه حاز موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم في أمور الدين أو الدنيا وما ثبت أيضا حسب هذا المعنى من المثل التي تحتذي كل يوم ".

وأما شاخت فيقول : " إن الأحاديث ليست هي السنة بل هي تدوين السنة بالوثائق ." ويمكن استخلاص مفهوم السنة عن المستشرقين في النقاط التا لية

١. ان السنة هى جوهر العادات والتقاليد الموروثة .
٢. ان السنة شرح لالفاظ القران العامضة .
٣. ان السنة وحدها هى القانون او الديانة وهي المصدر الوحيد للشريعة
٤. ان السنة غير الحديث .وانهما ليسا بمعنى واحد .[٩]

الفصل الرابع : إيجابيات الاستشراق :

إن بعض المستشرقين كانت لهم في دراساتهم للسنة والأحاديث أعمال مذكورة غير منكورة ومشكورة غير محدودة وذلك بإحيائهم بعض الكتب الحديثية وتأليفهم بعض الكتب التي قربت إلى الباحثين والدراسيين الوقوف على الأحاديث في مظانها ، ومواضعها وذلك مثل ما صنع "فنسنك" في " مفتاح كنو ز السنة" وكما فعل جماعة من المستشرقين بتأليفهم كتاب " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي " وهذا يدل على تقديرنا للأعمال العلمية النافعة وإنا لا نكره المستشرقين كافة ولا نمدحهم بعامة وإنما نقول للمحسن "أحسنت " وللمسيئ " أسئت" ولمن أحسن في مكان وأساء في آخر " لقد خلطت عملا صالحا وآخر سيئا وفي الحق أن هؤلاء لذين قاموا بهذه الأعمال المذكورة المشكورة أتيحت لهم من التيسيرات والمساعدات المادية والأدبية ما جعلهم يتفرغون تفرغا كاملا لأعمالهم تلك ولو أن هذه التيسيرات والمساعدات أتيحت لكثير من العلماء المسلمين السنة لكان من وراء ذلك خير كثير للإسلام والمسلمين ، ولخدمة الثقافة الإسلامية الأصيلة .

وقد اشتمل هذا الكتاب على ألفاظ الأحاديث الموجودة في تسعة مصادر من أشهر مصادر السنة وهي الكتب الستة ،وموطأ مالك، ومسند أحمد ، ومسند الدارمي .

وألف المستشرق الهولندي الدكتور أرند جان فنسنك كتاب "مفتاح كنوز السنة " رتبه على حسب الموضوعات والمعاني للألفاظ والمباني على نسق حروف المعجم بالنسبة لألفاظها . فهو معجم للموضوعات ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

وقد بنوا كثيرا من الجامعات وعلموا فيها العربية والسنة بسوء ظن بل قد أسلم منهم من علم الحق هذا ما علمت من الكتب التي راجعتها . مثل كتاب الإستشراق والمستشرقون ، والعقيدة والأديان ، ودفاع عن السنة ، وإظهار الحق ، وضوابط الرواية ونحوها .

[٩] . http://www.shamela.ws

الفصل الخامس : تأثير أفكار المستشركين ودعاياتهم في العالم الاسلامي:

قام المستشرقون بإفتراء وإثارة الشبهات على هذا الدين الخالصوعلى القرآن والسنة وطعنوا في الدين الاسلام ورسالة النبي صلى اله عليه وسلم . وشخصيته وأزواجه رضوان الله عليهن .وطعنوا في الصحابة رضوان الله عليهم وعلى المحدثين وأئمة المسلمين وعلمائهم .لينزع عزتهم ومكانتهم من قلوب المسلمين.وقد أثار المستشرقون الشبهات على السنة التي هي الأصل الثاني من أصول الدين الاسلامي وكانوا إذا تعارض النصوص على العقل مقدمين العقل على النقل .ويردون النقل.

وقد تأثر بهذه العمليات بعض المسلمين في العالم الاسلامي ولذا وهم كانوا يمرون على نعج المستشرقين مثل أبي رية وغيره بعض العلماء في هذا العصر يقدمون العقل على النقل وكان في عقلهم مرض ولذا تعرض عقلهم على النصوص وكان بعضهم يضعفون بعض الأحاديث التي وردت في صحيحي البخاري ومسلم . مثل حديث سجود الشمس ونحوه .

وكان المستشرقون وهم يدرسون اللغة العربية واللغات الشرقية وقد نقلوا الكتب الشرقية والعربية الى لغتهم وكتبهم الى العربية وغيرها .ويلحقون أبناء المسلمين معهم في مدارسهم ويأخذون بهم الى الكنيسة ويدرسون لهم دينهم ويسكنون في دين الاسلام مثلا أنها مأخوذة من التوراة والإنجيل وهذا مأخوذة من الاسرائيلية ونحوها،ويدرسونهم ثقافتهم وحضارتهم .

وأما أهم آثار الإستشراق الخطيرة ،ومنها :

١-أثار المستشرقون كثيرا من الشبهات وتلقفها تلاميذهم من أهل التبعية والتغريب والشعوبية [١٠] وهذا واضح في كثير الشبهات كالدعوة إلىالعامية التي بدأها "ولكوكس " " وويلمور "

وغيرهما ثم تابعهما سلامة موسى ،ولطفي السيد إلى الأقلبيات والقوميات الضيقة كلفرعونية

والفينيقية التي بدأها فمبرى وكرومر وتابعهما طه حسين ولطفي السيد وغيرهما .

٢- كما تبدوا خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها تلامذة المستشرقين على مناهج التعليم وثقافة والفكر في العالم الإسلامي ُحتى أصبحت آثار الاستشراق الأوروبي والأمريكي تظهر في كل مكان بما في ذلك الكتب والصحف العربية .

٣ – تدخل الاتجاه الاستشراقي الحاقد في رسم سياسة دول الغرب تجاه الدول الإسلامية بحيث ظل الاستشراق يؤدي دوره في سياسة التسلط وفي التخطيط لهذا الت سلط وإحكامه .[١١]

تراجم بعض أقباد من المستشرقين

١ – أ.ح أربري : إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من العرب الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في الإنجلترا ومن كتبه (الإسلام اليوم و ترجمة القرآن).

---

[١٠] . الشعوبية : كلمة تعني احتقار العرب وتفضيل غيرهم عليهم .

[١١] . العقيدة والأديان والإتجاهات المعاصرة في باب الاستشراق (ص :١٣٧)

٢ – د.س مرجوليث : إنجليزي متعصب ضد الإسلام ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق . ومن كتبه (محمد ومطلع الإسلام).

٣ – أ.ح فينيسنك الهولندي : عدو لدود للإسلام ونبيه كان عضوا بالمجمع المصري ثم أ خرج منه ومن كتبه (عقيدة الإسلام).

٤ – لويس يونغ : هو النصراني المدعو بطرس الجليل رئيس ديركلوني (مدينة في شرقي فرنسا).والذي راقب الصراع بين اللإسلام والنصرانية واستنتج .

٥ – والكوكس : وليم والكوكس منصر إنجليزي عمل في مصر أيام الاستعمار .

٦ – ويلمور : مستشرق إ نجليزي كان قاضيا في مصر إبان الاستعمار الإنجليزي .[١٢]

[١٢] . العقيدة والأديان والإتجاهات المعاصرة في باب الاستشراق (ص : ١٣١)

الباب الثاني : السنة النبوية في التشريع . وفيه أربعة فصول .

الفصل الأول : السنة وتعريفها .

الفصل الثاني : الحديث وأنواعه .

الفصل الثالث : الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي .

الفصل الرابع : حجية السنة.

الباب الثاني : السنة النبوية في التشريع .

الفصل الأول : السنة وتعريفها :-

السنة لغة :

هي الطريقة والسيرة سواء أكانت محمودة ام مذمومة وقد ورد استعمالها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي بهذا المعنى.يقول الله تعالى في القرآن :{قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفرلهم ما قد سلف و إن يعود فقد مضت سنة الأولين }[١٣]

ويقول :{سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا،ولن تجد لسنتنا تحويلا }[١٤]

ويقول أيضا :{سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا }[١٥]

يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث : ((لا تتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ذراعا بذراع،حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : فمن ؟))[١٦]

ويقول أيضا : ((من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا))[١٧]

السنة شرعا : يختلف معنى السنة في اصطلاح المستشرقين حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم فهي عند المحدثين غير ما عند الأصوليين والفقهاء والشارع في أي عمل عليه أن يلم باصطلاحات أهله لئلا تلتبس عليه الأمور وتضطرب الموازين .

١ – السنة عند الفقهاء : ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجوبفهي أحد الأحكام التكليفية الخمسة :الواجب،والحرام، والسنة والمكروه، والمباح وقد يستعملونها في مقابل البدعة .

فيقولون :طلاق السنة كذا،وطلاق البدعة كذا .

٢ – السنة عند الأصوليين : ما صدر عن الني صلى الله عليه وسلم غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير .

٣ – السنة عند علماء العقيدة : هي كل ما دل الدليل الشرعي عليه سواء كان هذا الدليل من الكتاب أو الحديث أو من قواعد الشريعة . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدن من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))

٤ – السنة عند المحدثين :ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل او تقرير أو صفة أو سيرة وهي بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي عند أكثرهم .[١٨]

فالقول :هو ما قال صلى الله عليه وسلم كقوله :((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .....))[١٩]

---

[١٣] .(الأنفال:٣٨)

[١٤] .(الاسراء:٧٧)

[١٥] .(الفتح:٢٣)

[١٦] .(متفق عليه)

[١٧] .(رواه مسلم)

[١٨] .تاريخ التشريع الإسلامي في باب السنة ومكانتها في التشريعي (ص : ٧١)

[١٩] .(رواه البخاري ومسلم).

والفعل : هو ما فعله صلى الله عليه وسلم كأفعاله التي نقلت إلينا. مثل وضوئه وكيفية صلاته، وأدائه مناسك الحج وقضائه باليمين والشاهد ونحو ذلك .

والتقرير : هو ما أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال بسكوته وعدم انكاره أو بموافقته وإظهار استحسانه ومن أمثلة ذلك :

ما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ((خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة ول يس معهما ماء فتيمما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال للذي لم يعد أصبت السنة وأجزأتك صلاتك وقال للذي توضأ وأعاد لك الأجر مرتين))[٢٠]

وما ورد عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين بعثه إلى اليمن : ((كيف تقضي إذا عرض لك قضاء قال أقضي بكتاب الله قال فإن لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله قال أجتهد رأ يي ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله))[٢١] وأما الصفة والسيرة : فقد روي من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله الكثير وألف الترمذي كتابا في الشمائل .

[٢٠] .(رواه أبو داود والنسائي)

[٢١] .(رواه أبو داود)

الفصل الثاني : الحديث وأنواعه

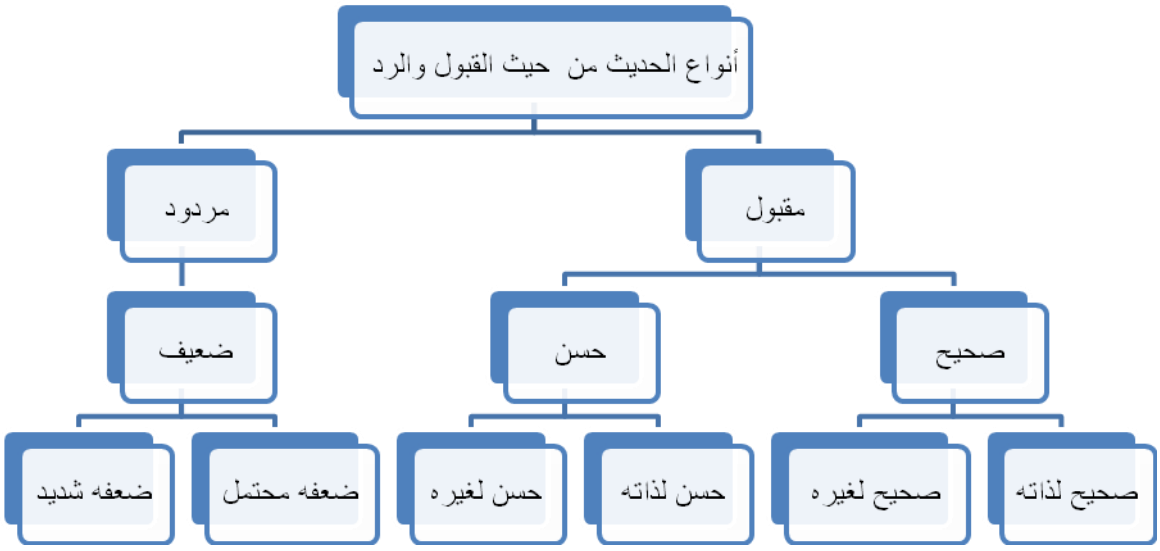

وأما أنواع الحديث من حيث القبول والرد ينقسم إلى قسمين : مقبول ومردود وينقسم الخبر المقبول بالنسبة إلى تفاوت مراتبه إلى قسمين رئيسيين ، هما : صحيح وحسن ، وكل منها يقسم إلى قسمين فرعيين أيضا ، هما : لذاته ولغيره فتأولوا أقسام المقبول في النها ية إلى أربعة أقسام . وهي :

١ – صحيح لذاته

٢ – صحيح لغيره

٣ – حسن لذاته

٤ – حسن لغيره

١ – وأما الصحيح لغة : الصحيح ضد السقيم . وهو حقيقة في الأجسام ومجاز في الحديث وسائر المعاني .

إصطلاحا : ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذو ذ ، ولا علة .

وأما شروطه :يتبين من شرح التعريف أن شروط الصحيح التي يجب توا فرها حتى يكون الحديث صحيحا خمسة . وهي : " إتصال السند– عدالة الرواة – ضبط الرواة – عدم العلة – عدم الشذوذ ". فإذا اختل شرط واحد من هذه الشروط الخمسة فلا يسمى الحديث حينئذ صحيحا .

وأما حكمه : وجوب العمل بإجماع أهل الحديث ومن يعتد به من الأصوليين والفقهاء .فهو حجة من حجة الشرع لا يسع المسلم ترك العمل به

٢– وأما تعريف الصحيح لغيره : هو الحسن لذاته إذا روي من طريق آخر مثله أو أقوى منه . ويسمى صحيحا لغيره لأن الصحة لم تأت من ذات السند الأول ' وإنما جائت من انضمام غيره له . ويمكن تصوير ذلك بمعادلة رياضية على الشكل التالي : حسن لذاته + حسن لذاته = صحيح لغيره

وأعلى مرتبة من الحسن لذاته ، ودون الصحيح لذاته .

٣ – وأما تعريف الحسن لغة : هو صفة مشبهة من الحسن بمعنى الجمال . اصطلاحا : اختلفت أقوال العل ماء في تعريف الحسن نظرا لأنه متوسط بين الصحيح والضعيف، ولأن بعضهم عرف أحد قسميه . وسنذكر بعض التعريفات ثم نختار ما نراه أوفق من غيره .

١. تعريف الخطابي : هو ما عرف مخرجه وأشتهر رجاله وعليه مدار أكثر الحديث . وهو الذي يقبله أكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء.

٢. تعريف الترمذي : كل حديث يرى لا يكون في اسناده من يتهم بالكذب ولا يكون الحديث شاذا ويروى من غير وجه نحو ذلك فهو عندنا حديث حسن.

٣. تعريف ابن حجر : قال : خبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الصحيح لذاته . فإن خف الضبط فالحسن لذاته

٤. تعريفه المختار : ويمكن أن يعرف الحسن بناء على ما عرفه به ابن حجربما يلي : هو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة .

وأما حكمه : هو كالصحيح في الاحتجاج به وإن دونه في القوة ولذلك احتج به جميع الفقهاء وعملوا به وع لى الاحتجاج به معظم المحدثين والأصوليين إلا من شذ من المتشددين . وقد أدرجه بعض المتساهلين في نوع الصحيح كالحاكم وابن حبان وابن خزيمة مع قولهم بأنه دون الصحيح المبين أولا .[٢٢]

٤ – وأما تعريف الحسن لغيره : هو الضعيف إذا تعدت طرقه ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي أو كذبه. ويستفاد من هذا التعريف أن الضعيف يرتقي إلى درجة الحسن لغيره بأمرين، هما :

أ – أن يروى من طريق آخر فأكثر على أن يكون الطريق الآخر مثله أو أقوام منه .

ب – أن يكون سبب ضعف الحديث إما سوء حفظ راويه وإما انقطاعا في سنده أو جهالة في رجاله

سبب تسميته بذلك : أن الحسن لم يأت من ذات السند الأول وإنما أتى من انضمام غيره له . ويكون تصوير ارتقاء الحديث الضعيف إلى مرتبة الحسن لغيره بمعادلة رياضية على النحو التالي :

ضعيف + ضعيف = حسن لغيره

وأما مرتبته وحكمه : الحسن لغيره أدنى مرتبة من الحسن لذاته وينبني على ذلك ان هـ لو تعارض الحسن لذاته مع الحسن لغيره قدم الحسن لذاته . أما حكمه هو من المقبول الذي يحتج به .

---

[٢٢] . تيسيرمصطلح الحديث (ص: ٤٤- ٥٩) في باب الصحيح .

وأما خبر المردود : هو الخبر الذي لم يترجح صدق المخبر به ، هو الضعيف ، والضعيف ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما : ضعفه محتمل ، وضعفه شديد بحسب درجة ضعفه .[٢٣]

أما تعريف الضعيف لغة : هو ضد القوي والضعف حسي ومعنوي والمراد به هنا : الضعف المعنوي.

اصطلاحا : هو ما لم يجمع صفة الحسن بفقد شرط من شروطه .

قال البيقوني في منظومته :

وكل ماعن رتبة الحسن قصر - فهو الضعيف وهو أقسام كثر .

وأما حكم روايته : يجوز عند أهل الحديث وغيرهم رواية الأحاديث الضعيفة والتساهل في أسانيدها من غيربيان ضعفها بخلاف الأحاديث الموضوعة فإنه لا يجوز روايتها إلا مع بيان وضعها بشرطين ،هما :

١ – ألاتتعلق بالعقائد ،كصفات الله تعالى .

٢ – ألا تكون في بيا الأحكام الشرعية مما يتعلق بالحلال والحرام .

وأما حكم العمل به : اختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف والذي عليه جمهور العلماء أنه يستحب العمل به في فضائل الأعمال ، لكن بشروط ثلاثة أوضحها الحافظ ابن حجر ،وهي :

أ – أن يكون الضعف غير شديد .

ب – أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به .

ج – ألا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الإحتياط .[٢٤]

أقسام الضعيف : يمكن تقسيم الحديث الضعيف بحسب درجة ضعفه إلى قسمين :

١ – ما كان ضعفه محتملا غير شديد ، بحيث إذا عضده مثيله انجبر الضعف وارتقى إلى ما يسمى بالحسن لغيره كأن يكون راويه من الضعفاء الذين يكتب حديثهم ولا يحتج بهم عند التفرد أو أن يكون فيه انقطاع لإرسال أو تدليس هذا هو ضعفه محتمل.

2 – ما كان ضعفه شديدا غير خفيف فلا يفيده المتابعة وهو ما كان راويه متهما أو كذابا أو متروكا لسوء حفظه أو لكثرة غلطه أو مجهول عين لا يعرف .

---

[٢٣] .تيسير مصطلح الحديث في باب الصحيح : (ص: ٦٦-٨١)

[٢٤] . تيسير علوم الحديث للمبتدئين (ص: ٤٠)

الفصل الثالث : الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي

وينقسم الخبر بالنسبة إلى من أسند إليه إلى قسمين وهما : الحديث القدسي ، والحديث النبوي

➢ أولا الحديث النبوي : الحديث في اللغة : ضد القديم ويطلق ويراد به كل كلام يتحدث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقضته أو منامه ، وبهذا المعنى سمي القرآن حديثا : { ومن أصدق من الله حديثا }[٢٥] ويسمى ما يحدث به الإنسان في نومه :{ وعلمتني من تأويل الأحاديث .....}[٢٦]

والحديث في الاصطلاح :ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أوفعل أو تقرير أو صفة .

فالقول :كقوله صلى الله عليه وسلم : ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوا .....))[٢٧]

والفعل كالذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفية الصلاة ثم قال : ((صلوا كما رأيتموني أصلي))[٢٨] وما ثبت من كيفية حجة فقد قال : ((خذوا عني مناسككم))[٢٩]

والإقرار كأن يقر أمرا علمه عن أحد الصحابة من قول أو فعل سواء أك ان ذلك في حضرته أم في غيبته ومن أمثلته : ((أكل الضب على مائدته صلى الله عليه وسلم)) وما روى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحاب في صلاته في ختم بـ { قل هو الله أحد } فلما رجعوا ذكروا ذلك له عليه الصلاة والسلام . فقال : سلوه لأي شيئ يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((أخبروه أن الله يحبه))[٣٠]

والصفة : كما روي ((من أنه صلى الله عليم وسلم كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بي فظ ولا غليل ولا صحاب ولا فحاش ولا عياب .....))[٣١]

➢ ثانيا الحديث القدسي عرفنا معنى الحديث لغة ، والقدسي : نسبة إلى القدس وهي نسبة تدل على التعظيم لأن مادة الكلمة دالة على التنزيه والتطهير في اللغة ، فالتقديس : تنزيه الله تعالى ، والتقديس : التطهير وتقدس : تطهر، قال الله تعالى على لسان ملائكته : { ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك }[٣٢] أي نطهر أنفسنا لك.

---

٢٥ . النساء : ٨٧
٢٦ . يوسف :١٠١
٢٧ . رواه البخاري ومسلم .
٢٨ . رواه البخاري .
٢٩ . أخرجه مسلم وأحمد والنسائي
٣٠ . رواه البخاري ومسلم .
٣١ . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٢٠)
٣٢ . البقرة : ٣٠

والحديث القدسي في الاصطلاح : هو ما يضيفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى ، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه على أنه من كلام الله فالرسول راو لكلام الله بلفظ من عنده ، وإذا رواه أحد رواه عن رسول الله مسندا إلى الله عز وجل فيقول : " قال رسول الله فيما يرويه عن ربه عز وجل ...." أو يقول " قال رسول : قال الله تعالى : أو يقول الله تعالى "[٣٣]

ومثال الأول : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : ((يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار .....))[٣٤]

ومثال الثاني : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه م))[٣٥]

وأما الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي الحديث النبوي قسمان :

قسم توقيفي : وهو الذي تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه وهذا القسم وإن كان مضمونه منصوبا إلى الله فإنه من حيث هو كلام حرى بأن ينصب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الكلام إنما ينصب إلى قائله وإن كان ما فيه من المعنى قد تلقاه عن غيره .

وقسم توفيقي : وهو الذي استنبطه رسول الله من فهمه للقرآن ، لأنه مبين له أو استنبطه بالتأمل والاجتهاد وهذا القسم الاستنباطي الاجتهادي يقره الوحي إذا كان صوابا ، وإذا وقع فيه خطأ جزئي نزل الوحي بما فيه الصواب مثل ما كان في أسرى بدر . وليس هذا القسم كلام الله قطعا .

ويتبين من ذلك أن الأحاديث النبوي بقسميها : التوقيفي والتوفيقي الاجتهادي الذي أقره الوحي يمكن أن يقال فيها إن مردها جميعا لجملتها إلى الوحي ، وهذا معنى قوله تعالى في رسولنا : { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى }[٣٦]

الحديث القدسي : والحديث القدسي معناه من عند الله عز وجل ، يلقى إلى رسول الله ب كيفية من كيفيات الوحي ، لا على التعيين.

أما ألفاظه فمن عند رسول الله على الراجح ونسبته إلى الله تعالى نسبة لمضمونه لا نسبة لألفاظه ولو كان لفظه من عند الله لما كان هناك فرق بينه وبين القرآن . ولوقع التحدي بأسلوبه والتعبد بتلاوته . ويرد على هذا شبهتان :

الشبهة الأولى : أن الحديث النبوي وحي بالمعنى كذلك واللفظ من رسول الله فلماذا لا نسميه قدسيا أيضا ؟

والجواب : أننا نقطع في الحديث القدسي بنزول معناه من عند الله لورود النص الشرعي على نسبته إلى الله بقوله صلى الله عليه وسلم " قال الله تعالى أو يقول الله تعالى " ولذا سميناه قدسيا بخلاف الأحاديث النبوية فإنها لم يرد فيها مثل هذا النص

---

٣٣ . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص : ٢١)
٣٤ . أخرجه البخاري
٣٥ . أخرجه البخاري ومسلم
٣٦ .النجم : ٣-٤

ويجوز في كل واحد منها أن يكون مضمونه معلما بالوحي أ ي "توقيفيا" وأن يكون مستنبتا بالاجتهاد أي "توفيقيا" ولذا سمينا الكل نبويا وقوفا بالتسمية عند الحد المقطوع به . ولو كان لدنيا ما يميز الوحي التوقيفي لسميناه قدسيا كذلك .

الشبهة الثانية : أنه إذا كان لفظ الحديث القدسي من رسول الله فما وجه نسبته إلى الله بقو له صلى الله عليه وسلم : "قال الله تعالى ، أو يقول الله تعالى " .

والجواب : أن هذا سائغ في العربية حيث ينسب الكلام باعتبار مضمونه لا باعتبار ألفاظه فأنت تقول حينما تنثر بيتا من الشعر : يقول الشاعر كذا وحينما تحكي ما سمعته من شخص يقول فلان كذا وقد حكى القرآن الكريم عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأص لوب غير أصلوبهم .[٣٧] ونسب ذلك إليهم :{وإذ نادا ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون } إلى قوله تعالى : {قال رب السموات والأرض وما بي نهما إن كنتم موقنين}[٣٨]

الفصل الرابع : حجية السنة

اتفق المسلمون على أن ما صدرعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير في شأن من شئون التشريع ، أو شئون الرئاسة والقضاء ، ونقل إلينا بسند صحيح ، يكون حجة على المسلمين ومصدرا تشريعيا يستنبط منه المجتهدون الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين ، فالسنة النبوية هي الأصل الثاني من أصول الأدلة الشرعية ، ومنزلتها تلي منزلة القرآن ، ويجب إتباعها كما يجب إتباع القرآن .[٣٩]

لا نزاع في أن صحة الاستدلال بحديث مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقيدة دينية أو حكم شرعي يتوقف على أمرين أساسيين :

أولهما : ثبوت أن السنة حجة وأصل من أصول التشريع .

ثانيها : ثبوت ورود هذا الحديث بطريق من طرق الرواية المعتمدة ،ثم إن العلماء اختلفوا بالنسبة للأمر الثاني في الطريق التي تعتمد في إثبات صدور الحديث عن رسول الله اختلافا كبيرا .

فمن الناس من أنكر العمل بكل ما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا من حيث صدورها عنه ، وأن ما صدر ليس بحجة ، ولكن من حيث عدم ثبوت هذا الصدور من طريق يصح الاعتماد عليه والاطمئنان اليها ،وهذا الفريق من الناس ذكره السيوطي في كتابه " مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ".

ومنهم من قال : إنما يثبت بالتواتر فقط ورد جميع أخبار الآحاد .

---

[٣٧] . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص : ٢٣-٢٤)
[٣٨] . الشعراء : ١٠-٢٤
[٣٩] . تاريخ التشريع الإسلامي في باب حجية السنة .

وفريق ثالث : أثبته بكل منهما (التواتر ، والآحاد) هذا الفريق اختلف في شروط خبر الواحد اختلافا كثيرا .

وأما الأمر الأول : وهو حجية السنة بعد التثبت من صدورها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل وقع فيه خلاف ؟ الذي لا شك فيه أن موجبات الخلاف اختلاف الملل والنحل وتفاوت العقول ؟ فهذا قد قصر عقله عن إدراك ما يقال وما يفعل ، وهذا قد اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وثالث قد مر ق من الدين مروق السهم من الرمية ، وبين هؤلاء وهؤلاء الغارقين في ظلمات الجهل وعماية الفهم يشق النور طريقه مخترقا ذلك الظلام الدامس فسرعان ما يبدوه بتفنيد هذه الآراء والتمييز بين المتعالمين .

والعلماء بحجج قاطعة وبراهين ساطئة يرتاه إليها المصنفون وتنزعج لتبيانها النمبطلون .

فإذا قلنا إنها ضرورة دينية أي إنها أصبحت معلومة للخاص والعام : العالم والجاهل ، ولكل أفراد الأمة الإسلامية لا ينكرها منكر ولا يشك فيها شاك حتى يطالبنا ببيان دليلها وأصلها . فلما لم نحتج إلى بيان دليل لمنكر لها كصلاة الظهر مثلا وأنها أربع ركعات صارت بمنزلة القضايا الضرورية حقيقة ولذلك كان الحكم على منكرها أو الشاك فيها بالردة لما تكرر من أن الإيمان هو التصديق القلبي في جميع ما علم مجيئه على يد النبي صلى الله عليه وسلم بالضرورة .

وخلاصة القول أن الأئمة قاطبة مجمعون على اتخاذ الحديث الصحيح قاعدة أساسية بعد كتاب الله تعالى ، وأنه يجب العمل به في القضاء والافتاء ولو خالف مذاهبهم .[٤٠]

كان بعضهم يعتصم بالحديث حتى كاد يقتصر اجتهاده عليه ،وبعضهم أسس مذهبه على ظاهره وأنكر ما عداه ولا غرابة ، فإنه المعين الذي لا ينضب بعد كتاب الله ،فيه يجد المجتهد مجالا واسعا لاستنباط الأحكام ، وهو مفتاح القرآن . ومرقاة الوصول إلى فهمه على وجهه ، فقد فصل ما أجمل وأحكم ما تشا به وكمل ما سكت عنه ، وإذا كان الحديث بهذه المثابة فلا بأس أن نسرد أقوال الأئمة فيه، ونبين مقدار تمس كهم به في تشريعهم فيها هو الإمام الشا فعي – رضي الله عنه – يقول: "إذا صح الحديث فهو مذهبي ،وإذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله فدعوا قولي ، وقولوا بسنة رسو ل الله " . وقد سلك أصحابه هذا المسلك ، فكانوا يفتون بالحديث بل كان بعضهم إذا رأى المسألة تعارض فيها الحديث ومذهب الشافعي أخذ بالحديث وأفتى به قائلا : "هكذا مذهب الشافعي".

وجاء في "شرح الهداية" لابن الشحنة :" إذا صح الحديث وكان مخالفا للمذهب عمل بالحديث ، ويكون ذلك مذهب من صح عنده ". ثم قال : ولا يخرج مقلده عن كونه حنفيا بالعمل به ، لما روي عن أبي حنيفة أنه قال : "إذا صح الحديث فهو مذهبي". وقد حكى ذلك ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة .[٤١]

وقد دل على حجيتها أمور كثيرة منها :

١ – نصوص القرآن الكريم : فقد أمر الله تعالى باتباع رسوله وطاعته فقال : {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا....}[٤٢] و {ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ....}[٤٣] وحذرنا من مخالفته فقال :{فليحذر الذين يخالفون

---

[٤٠] . تلخيص الحبير في باب حجية السنة (ج: ١، ص : ١٨)
[٤١] . تلخيص الحبير في باب حجية السنة (ج: ١، صـ : ٢٠)
[٤٢] . الحشر : ٧
[٤٣] . سورة النساء : ٥٩

عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ....}.[٤٤] ولم يجعل لنا الخيرة أمام حكمه فقال :{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم }.[٤٥]

وجعل ذلك من أصول الإيمان فقال : {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما }.[٤٦] وفرض على المؤمنين طاعته لأنها من طاعة الله فقال :{من يطع الرسول فقد أطاع الله }.[٤٧]

فهذا النصوص تدل دلالة قاطعة على أن الله أوجب اتباع رسوله فيما شرعه وأن السنة مصدر تشريعي لأحكام المكلفين .

٢- عمل الصحابة : فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم يمتثلون أوامره ونواهيه ، ولايفرقون بين حكم أوحى الله به في القرآن الكريم وحكم صدر من رسول الله فقد قال تعالى :{وما ينطق عن الهوى إن هو ألا وحي يوحى }.[٤٨] وكذلك كان شأنهم بعد وفا ته صلى الله عليه وسلم يرجعون إلى كتاب الله تعالى يلتمسون الحكم فيه ، فإن لم يجدوا في كتاب الله رجعوا إلى سنة رسول الله .[٤٩]

---

[٤٤] . سورة النور : ٦٣
[٤٥] . سورة الأحزاب : ٣٦
[٤٦] . سورة النساء : ٦٥
[٤٧] . سورة النساء : ٨٠
[٤٨] . سورة النجم : ٣-٤
[٤٩] . تاريخ التشريع الإسلامي في باب حجية السنة (صـ٧٤ - ٧٥)

الباب الثالث : شبهات المستشرقين على السنة قديما وحديثا والرد عليها وفيه أربع عشرة شبهات.

١ - قولهم بأن الكتاب قد حوى كل شيء .....

٢ - قولهم أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن .....

٣ - شبهتهم في تدوين الأحاديث .

٤ - أقوال وافتراءات للمستشرقين .....

٥ - إن السنة لم تكن شرعا.....

٦ - قولهم مو كانت السنة حجة لأمر النبي .....

٧ - تمسكهم بأخبار منسوبة.....

٨ - التعارض بين السنة والقرآن .....

٩ - أن حملة السنة من الصحابة.....

١٠ اختلاف المحدثين.....

١١ أن نقد المحدثيناقتصرعلى .....

١٢ الطعن في رسالةالنبي .....

١٣ الطعن في أحاديث.....

١٤ الطعن في شخصية.....

الباب الثالث : شبهات المستشرقين على السنة قديما وحديثا ، والرد عليها .

الشبهة الأولى : قولهم بأن الكتاب قد حوى كل شيئ من أمور الدين بحيث لا يحتاج إلى شيئ آخر مثل السنة لقوله تعالى : { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ....}[٥٠]

ومن الشبهاتَ التيَ يرَددَها المستشرقين و أذنابهمهو ما فهموه من قوله تعالى{ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } ، وقوله سبحانه : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ}[٥١]

فقالوا : إن هذه الآيات وأمثالها تدل علىَ أن الكتاب قد حوى كل شيء من أمور الدين ، وكلَّ حكم من أحكامه وأنه بيَّن ذلك وفصَّله بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر ، وإلا كان الكتاب مفرِّطاً فيه ، ولما كان تبياناً لكل شيء ، فيلزم الخلْف في خبره سبحانه وتعالى .

الرد على هذه الشبهة و تفنيدها:

وجواباً على هذه الشبهة يقال : ليس المراد من الكتاب في قوله تعالى: { ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } القرآن، وإنما المراد به اللوح المحفوظ ، فإنه هو الذي حوى كل شيء ، واشتمل على جميعأحوال المخلوقات كبيرَها وصَغيرها ،ً جليلها ودقيقها ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، على التفصيل التام ، بدلالة سياق الآية نفسها حيث ذكر الله عز وجل هذه الجملة عقب قوله سبحانه : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ }[٥٢] أي مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكَم وأعمَالَكم كلَ ذلك مسَطَّورَ مكتوب فَيَ اللوح المحفوظ لا يخفى على الله منه شيء ....

وعلى التسليم بأن المراد بالكتاب في هذا الآية القرآن ، كما هو في الآية الثانية وهي قوله سبحانه : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ } فالمعنى أنه لم يفرِّط في شيء من أمور الدِّين وأحكامه ، وأنه بيَّنها جميعاً بياناً وافياً. ولكن هذا البيان إما أن يكون بطريق النَّص مثل بيان أصول الدين وعقائده وقواعد الأحكام العامة ، فبيَّن الله في كتابه وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وحلِّ البيع والنكاح ، وحرمة الرِّبا والفواحش ، وحلِّ أكل الطيبات وحُرمة أكل الخبائث على جهة الإجمال وال عموم ، وترك بيان التفاَصيل والجزئيات لرسوله صلى الله عليه وسلم.َ...

ولهذا لما قيل لمطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير: " لا تحدثونا إلا بالقرآن قال : والله ما نبغي بالقرآن بدلاً ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن .[٥٣]

وروي عن عمران بن حصين أنه قال لرجل يحمل تلكالشبهة : إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ، ثم عدد إليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ، ثم قال أتجد هذا في كتاب الله مفسَّرا ، إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك" وإما أن يكون بيان القرآن بطريق الإحالة على دليل من الأدلة الأخرى التي اعتبرها الشارع في كتابه أدلة وحججاً على خلقه....

---

[٥٠] . سورة الأنعام : ٣٨
[٥١] . سورة النحل : ٨٩
[٥٢] . سورة الأنعام : ٣٨
[٥٣] . http://www.shamela.ws

فكل حكم بينته السنَّة أو الإجماع أو القياس أو غير ذلك من الأدلة المعتبرة ، فالقرآن مبيِّن له حقيقة ، لأنه أرشد إليه وأوجب العمل به ، وبهذا المعنى تكون جميع أحكام الشريعة راجعة إلى القرآن[٥٤]

فرجن عندما نتمسك بالسنة ونعمل بما جاء فيها إنما نعمل في الحقيقة بكتاب الله تعالى ، ولهذا لما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ((لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله بلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه وقالت : إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت ، فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن هو في كتاب الله ، فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول ، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت { وما آتاكُم الرَّسولُ فَخذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانْتَهوا} ؟! قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه...))[٥٥]

وحُكي أن الشافعي رحمه الله كان جالساً في المسجد الحرام فقال: لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله تعالى ، فقال رجلَ : ما تقول في المحرم إذا قتل الزُّنبور ؟ فقال لا شيء عليه ؟ فقال : أين هذا في كتاب الله ؟ فقال : قال الله تعالى : { وما آتاكُم الرَّسولُ فَخذُوه } ، ثم ذكر إسناداً إلى النبي في الحديث الذي رواه الترمذي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي))[٥٦] ، ثم ذكر إسناداً إلى عمر رضي الله عنه أنه قال " للمحرم قتل الزُّنبور " فأجابه من كتاب الله قال الإمام الخطابي رحمه الله " أخبر سبحانه أنه لم يغادر شيئا من أمر الدين لم يتضمن بيانه الكتاب ، إلا أن البيان على ضربين : بيان جلي تناوله الذكر نصاً وبيان خفي اشتمل عليه معنى التلاوة ضمناً ، فما كان من هذا الضرب كان تفصيل بيانه موكولاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو معنى قوله سبحانه : { لتبيِّنَ للنَّاس ما نُزِّلَ إليهم ولَعلَّهم يتفكَّرونَ }[٥٧] ، فمن جمع بين الكتاب والسنة فقد استوفى وجهي البيان " ، وبذلك يتبين ضلال هؤلاء وسوء فهمهم وتهافت شبهاتهم ، وأنه لا منافاة بين حجية السنة وبين كون القرآن تبياناً لكل شيء ، والحمد لله أولاً وآخراً

الشبهة الثانية : قولهم أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السنة ولو كانت السنة حجة ودليلا م ثل القرآن لتكفل الله بحفظها أيضا.

من الشبهات التي رددها أذناب المستشرقين قولهم : " لو كانت السنة ضرورية لحفظها الله كما حفظ القرآن في قوله تعالى :{ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون }[٥٨] ، ولأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بكتابتها كما أمر بكتابة القرآن" .

وقولهم في الحديث الذي يقول فيه النبي – صلى الله عليه وسلم : – ((ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه))[٥٩] ، : " لو كان هذا الحديث صحيحاً لما نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن كتابة السنة ، ولأمر بتدوينها كما دون القرآن ، ولا يمكن أن يدع نصف ما أوحي إليه بين الناس بغير كتابة ، ولا يكون حينئذ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها ، ولماذا ترك الصحابة نصف الوحي ولم يدونوه ، فبإهمالهم له يصبحون جميعاً من الآثمين".

---

٥٤ . http://www.shamela.ws
٥٥ . سورة الحشر : ٧
٥٦ . مشكل الآثار للطحاوي : جـ ٣ صـ ١٨٣
٥٧ . سورة النحل : ٤٤
٥٨ . سورة الحجر : ٩
٥٩ . مسند أحمد

الرد على هذه الشبهة و تفيدها : إن الله عز وجل كما أراد لهذه الشريعة البقاء والحفظ ، أراد سبحانه أيضاً ألا يكلف عباده من حفظها إلا بما يطيقون ولا يلحقهم فيه مشقة شديدة ، فمن المعلوم أن العرب كانوا أمة أمية ، وكان يندر فيهم الكتبة ، وكانت أدوات الكتابة عزيزة ونادرة ، حتى إن القرآن كان يكتب على جريد النخل والعظام والجلود ، وقد عاش النبي – صلى الله عليه وسلم – بين أصحابه بعد البعثة ثلاثًا وعشرين سنة ، ولهذا كان التكليف بكتابة الحديث كله أمراً في غاية الصعوبة والمشقة ، لأنه يشمل جميع أقواله وأفعاله وأحواله وتقريراته –صلى الله عليه وسلم – ولما يحتاجه هذا العمل من تفرغ عدد كبير من الصحابة له ، مع الأخذ في الاعتبار أن الصحابة كانوا محتاجين إلى السعي في مصالحهم ومعايشهم ، وأنهم لم يكونوا جميعا يحسنون الكتابة ، بل كان الكاتبون منهم أفراداً قلائل ، فكان تركيز هؤلاء الكتبة من الصحابة على كتابة القرآن دون غيره حتى يؤدوه لمن بعدهم تاما مضبوطًا لا ينقص منه حرف ....

ومن أجل ذلك اقتصر التكليف على كتابة ما ينزل من القرآن شيئاً فشيئاً حتى جمع القرآن كله في الصحف...

وكان الخوف من حدوث اللبس عند عامة المسلمين فيختلط القرآن بغيره – وخصوصاً في تلك الفترة المبكرة التي لم يكتمل فيها نزول الوحي – أحد الأسباب المهمة التي منعت من كتابة السنة ....

ثم إنه لم يحصل لحفاظ السنة في عهد الصحابة ما حصل لحفاظ القرآن ، فقد استحرَّ القتل بحفاظ القرآن من الصحابة ، أما السنة فإن الصحابة الذي رووا الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا كثر ، ولم يحصل أن استحر القتل فيهم قبل تلقي التابعين عنهم . ...

ومن الأسباب أيضاً أن السنة كانت متشعبة الوقائع والأحداث فلا يمكن جمعها كلها بيقين ، ولو جمع الصحابة ما أمكنهم فلربما كان ذلك سبباً في رد من بعدهم ما فاتهم منها ظناً منهم أن ما جمع هو كل السنة .

ثم إن جمعها في الكتب قبل استحكام أمر القرآن كان عرضة لأن يقبل الناس على تلك الكتب ، ويدعوا القرآن ، فلذلك رأوا أن يكتفوا بنشرها عن طريق الرواية ، وبعض الكتابات الخاصة....[٦٠]

أضف إلى ذلك أن القرآن يختلف عن السنة من حيث أنه متعبد بتلاوته ، معجز في نظمه ولا تجوز روايته بالمعنى ، بل لا بد من الحفاظ على لفظه المنزل ، فلو ترك للحوافظ فقط لما أمن أن يزاد فيه حرف أو ينقص منه ، أو تبدل كلمة بأخرى ، بينما السنة المقصود منها المعنى دون اللفظ ، ولذا لم يتعبد الله الخلق بتلاوتها ، ولم يتحداهم بنظمها ، وتجوز روايتها بالمعنى ، وفي روايتهابالمعنى تيسير على الأمة وتخفيف عنها في تحملها وآدائها . ...

وقد بلَّغ – صلى الله عليه وسلم – الدين كله وشهد الله له بهذا البلاغ فقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }[٦١] ، ووجود السنة بين الأمة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم فيه أبلغ دلالة على تبليغ الرسول – صلى الله عليه وسلم – إياها لأمته وبالتالي لم يضع نصف ما أوحاه الله إلى نبيه – صلى الله عليه وسلم – كما زعم الزاعمون – ، بل الجميع يعلم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتمتعون بحوافظ قوية ، وقلوب واعية ، وذكاء مفرط ، مما أعانهم على حفظ السنة وتبليغها كما سمعوها ، مستجيبين في ذلك لحث نبيهم – صلى الله عليه وسلم – لهم في

---

[٦٠] . http://www.shamela.ws

[٦١] . سورة المائدة : ٦٧

الحديث الذي رواه الترمذي و غيره بقوله ((نضر الله امرءاً سمع مني مقالة فحفظها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع....))[٦٢]

فتم ما أراده النبي – صلى الله عليه وسلم – من حفظ السنة وتبليغها ، ويكون بذلك – صلى الله عليه وسلم – قد بلغ دين الله عز وجل كاملاً ولم ينقص منه شيئاً

الشبهة الثالثة : شبهتهم في تدوين الأحاديث :

من الشبهات التي ادعاها بعض غلا ة المستشرقين من قديم ، وأقام بناءها على وهم فاسد هي أن الحديث بقي مائتي سنة غير مكتوب ، ثم بعد هذه المدة الطويلة قرر المحدثون جمع الحديث وقد ردد عدد من المستشرقين هذه الشبهة منهم جولد زيهر وشبرنجر ، ودوزي ، فقد عقد " جولد زيهر " فصلاً خاصاً حول تدوين الحديث في كتابه " دراسات إسلامية " وشكك في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم– ، ورأى " شبرنجر " في كتابه " الحديث عند العرب " أن الشروع في التدوين وقع في القرن الهجري الثاني ، وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة فقط ، أما " دوزي " فهو ينكر نسبة هذه " التركة المجهولة " – بزعمه – من الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه و سلم . وقد أراد المستشرقون من وراء هذه المزاعم إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور ، والتشكيك في صحة الحديث واتهامه بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين ، وأنهم لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق أهواءهم ، وصاروا يأخذون عمن سمعوا الأحاديث ، فصار هؤلاء يقول الواحد منهم : سمعت فلاناً يقول سمعت فلاناً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبما أن الفتنة أدت إلى ظهور الانقسامات والفرق السياسية ، فقد قامت بعض الفرق بوضع أحاديث مزورة حتى تثبت أنها على الحق ، وقد قام علماء السنة بدراسة أقسام الحديث ونوعوه إلى أقسام كثيرة جداً ، وعلى هذا يصعب الحكم بأن هذا الحديث صحيح ، أو هذا الحديث موضوع....[٦٣]

ويمكن الرد هذه الشبهة من عدة وجوه:

١– إن تدوين الحديث قد بدأ منذ العهد الأول في عصر النبي صلى الله ع ليه وسلم ، وشمل قسماً كبيراً من الحديث ، وما يجده المطالع للكتب المؤلفة في رواة الحديث من نصوص تاريخية مبثوثة في تراجم هؤلاء الرواة ، تثبت كتابتهم للحديث بصورة واسعة جداً ، تدل على انتشار التدوين وكثرته البالغة....

٢ – إن تصنيف الحديث على الأبواب في المصنفات والجوامع مرحلة متطورة متقدمة جداً في كتابة الحديث ، وقد تم ذلك قبل سنة ٢٠٠ للهجرة بكثير ، فتم في أوائل القرن الثاني ، بين سنة ١٢٠ . ١٣٠ هـ ، بدليل الواقع الذي بين لنا ذلك ، فهناك جملة من هذه الكتب مات مصنفوها في منتصف المائة الثانية

---

[٦٢] . رواه الترمذي وغيره

[٦٣] . http://www.shamela.ws

٣ – إن علماء الحديث وضعوا شروطاً لقبول الحديث ، تكفل نقله عبر الأجيال بأمانة وضبط ، حتى يؤدَّى كما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهناك شروط اشترطوها في الراوي تضمن فيه غاية الصدق والعدالة والأمانة ،مع الإدراك التام لتصرفاته وتحمل المسئولية ، كما أنها تضمن فيه قوة ا لحفظ والضبط بصدره أو بكتابه أو بهما معاً ، مما يمكنه من استحضار الحديث وأدائه كما سمعه ، ويتضح ذلك من الشروط التي اشترطها المحدثون للصحيح والحسن والتي تكفل ثقة الرواة ، ثم سلامة تناقل الحديث بين حلقات الإسناد ، وسلامته من القوادح الظاهة والخفية ، ودقة تطبيق المحدثين لهذه الشروط والقواعد في الحكم على الحديث بالضعف لمجرد فقد دليل على صحته ، من غير أن ينتظروا قيام دليل مضاد له...

٤ – إ ن علماء الحديث لم يكتفوا بهذا ، بل وضعوا شروطاً في الرواية المكتوبة لم يتنبه لها أولئك المتطفلون ، فقد اشترط المحدثون في الرواية المكتوبة شروط الحديث الصحيح ، ولذلك نجد على مخطوطات الحديث تسلسل سند الكتاب من راوٍ إلى آخر حتى يبلغ مؤلفه ، ونجد عليها إثبات السماعات ، وخط المؤلف أو الشيخ المسمع الذي يروي النسخة عن نسخة المؤلف أو عن فرعها ، فكان منهج المحدثين بذلك أقوى وأحكم وأعظم حيطة من أي منهج في تمحيص الروايات والمستندات المكتوبة

٥ – إن البحث عن الإسناد لم ينتظر مائتي سنة كما وقع في كلام الزاعم ، بل فتش الصحابة عن الإسناد منذ العهد الأول حين وقعت الفتنة سنة ٣٥ هجرية لصيانة الحديث من الدس ، وضرب المسلمون للعالم المثل الفريد في التفتيش عن الأسانيد ، حيث رحلوا إلى شتى الآفاق بحثاً عنها واختباراً لرواة الحديث ، حتى اعتبرت الرحلة شرطاً أساسياً لتكوين المحدث...

٦ – إن المحدثين لم يغفلوا عما اقترفه الوضاعون وأهل البدع والمذاهب السياسية من الاختلاق في الحديث ، بل بادروا لمحاربة ذلك باتباع الوسائل العلمية الكافلة لصيانة السنة ، فوضعوا القيود والضوابط لرواية المبتدع وبيان أسباب الوضع وعلامات الحديث الموضوع ....

٧ – إن هذا التنوع الكثير للحديث ليس بسبب أحواله من حيث القبول أو الرد فقط ، بل إنه يتناول إضافة إلى ذلك أبحاث رجاله وأسانيده ومتونه ، وهو دليل على عمق نظر المحدثين ودقة بحثهم ، فإن مما يستدل به على دقة العلم وإحكام أهله له تقاسيمه وتنويعاته ، بل لا يعد علماً ما ليس فيه تقسيم أقسام وتنويع أنواع ؟ !!.فظهر بذلك تهافت هذه الشبهة وبعدها عن الموضوعية والمنهجية.[٦٤]

الشبهة الرابعة : أقوال وافتراءات للمستشرقين حول أسباب وضع الحديث

وهنا مسألة جد خطيرة نرى من الهير أن نعرض لها ببعض التفصيل ، ولقد ساد إلى وقت قريب في أوساط المستشرقين الرأي القائل : بأن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والقاني وأنه ليس صحيحا ما يقال : من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول : عهد الطفولة ولكنه أثر من أثار جهود الإسلام في عصر النضوج.[٦٥]

وقد شرحوا هذا الرأي :

---

٦٤ . http://www.shamela.ws

٦٥ . دفاع عن السنة : صـ٢٨٦

أولا : بأنه في هذا العصر الأول الذي اشتدت فيه الخصومة بين الأمويين والعلماء الأتقياء أخذ هؤلاء يستغلون جمه الحديث والسنة ونظرا لأنما وقع في أيديهم من ذلك لم يكن ليسعفهم في تحقيق أعراضهم أخذوا يخترعون من عندهم أحاديث رأوها مرغوبا فيها ولا تنافي الروح الإسلامية وبرروا ذلك أمام ضمائرهم بأنهم إنما يفعلون هذا في سبيل محاربة الطغيان والإلحاد . والبعد عن سنن الدين ونظرا لأنهم كانوا يؤملون في أعداء البيت الأموي وهم العلويون فقد كان محط اختراعهم من أول الأمر موجها إلى مدح أهل البيت فيكون هذا سبيلا غير مباشر في سلب الأمويين ومهاجمتهم وهكذا سار الحديث في القرن الأول سيرة المعارضة الساكتة بشكل مؤلم ضد هؤلاء المخالفين للسنن الفقهية والكانونية .

ثانيا : ولم يقتصر الأمر على هؤلاء فإن الحكومة نفسها لم تقف ساكتة إزاء ذلك فإذا ما أرادت أن تعمم رأيا أو تسكت هؤلاء الأتقياء تذرعت أيضا بالحديث أو تدعو إلى وضعه وإذا ما أردنا أن نتعرف ذلك كله فإنه لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي . فالوضع في الحديث ونشر بعضه أو اضطهاد بعضه نشأ في وقت مبكر .

فالأمويون كانت طريقتهم ،كما قال معاوية للمغيرة بن شعبة :لا تهمل في أن تسب عليا وأن تطلب الرحمة لعثمان وأن تسب أصحاب علي ،وتضطهد من حديثهم وعلى الضد من ذلك أن تمدح عثمان ، وأهله وأن تقربهم ، وتسمع إليهم ، وعلى هذا الأساس قامت أحاديث الأمويين ضد علي ، ولم يكن الأمويون وأتباعهم ليهمهم الكذب في الحديث الموافق لوجهات نظرهم ، فالمسألة كانت في إيجاد هؤلاء الذين تنسب إليهم .

ثالث: وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع أحاديث فمن ذلك حديث ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى))[٦٦] الذي يمثل ميولهم السياسية في تقديس بيت المقدس وجعله مثل البيت الحرام ومسجد المدي نة حتى يكون محجا للناس وذلك في الوقت الذي حرم فيه ابن الزبير أهل الشام من الحج إلى الكعبة ويتصل بهذا الأحاديث التي جائت في بيان فضل بيت المقدس ، ثم أحاديث فضل الشام والمدينة ، ولقد سمى الأمويون المدينة بالخبيثة وسماها بعضهم المنتنة على خلاف تسميتها بالطيبة.[٦٧]

الرد على هذا الشبهة : الجواب للأول

إننا لا نوافق المستشرقين على أن العلماء الأتقياء قاموا بحركة وضع قط ضد الأمويين ، وإرغام أنوفهم بمدح أعدائهم ثم كيف تجامع التقوى الوضع في الحديث ؟ إن التقوى كما يعرفها الخاصة والعامة هي الاستقامة ع لى الدين ظاهرا وباطنا أجيبونا بأصحاب العقول !!

إن كلمة الأتقياء دسها المستشرق المتعصب "جولد تسيهر " ليهون على القارئ ، ويسهل عليه الغرض الدنئ ، والاتهام الجرئ الذي يرمي إليه فإنه إذا حكم أن هذا حال العلماء الاتقياء فكيف يكون حال غير الاتقياء ؟ ! لا شك أنهم يفوقونهم ويزيدون عليهم في الوضع في الحديث . وقد كنا نود من المستشرق المتعصب أن يذكر لنا بعضا من هؤلاء العلماء

---

[٦٦] . أخرجه البخاري ومسلم
[٦٧] . دفاع عن السنة : صـ٢٨٣

الاتقياء لنرى مبلغ صدقه فيما زعم ولنبين لهم أقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم ولنعلم أهم حقا علماء أم أشباه علماء . أم ليسوا من العلم في شيئ ؟ لكن الكاتب اليهودي الحاقد على الإسلام والمسلمين أبهم ، وهول لحاجة في نفسه .

ونحن معاشر العلماء المسلمين لا ننكر أنه وضعت أحاديث في مدح الأمويين وذمهم ، ومدح أعدائهم وذمهم ، وكيف؟ وهذه كتب الأحاديث الموضوعة قد بينت الكثير من ذلك . ولكن الذي ننكره أشد الإنكار أن يكون م ن فعل هذا تقيا! أو تكون هذه الموضوعات قد جازت عليهم من غير أن يذكروها ويبين عوارها وعارها على واضعيها ، فهذا ابن سيرين يقول : " لم يكونوايسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ". وأهل السنة كانوا مثال الاستقامة في العقيدة والسلوك بينما أهل البدع كانوا على الضد من ذلك ويقول أيضا : " بأن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم "[٦٨] رواها مسلم في مقدمة صحيحه ، وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن مبارك أنه قال : " الإسناد من الدين و لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء "[٦٩] وهذا يدل على اليقظة التامة من العلماء الذين تصدوا للرواية ، وتعقبوا الوضاعين والكذابين حتى كشفوا عن خبيثة أمرهم ، ودخيلة نفوسهم .

وأمر آخر أحب أن أنبه إليه وهو أن العصر الأول كان الوازع الديني فيه قويا على الرغم مما حدث م ن فتن وخلافات وهذا الوازع الديني نلمحه قويا ظاهرا في العلماء الاتقياء ومن على شاكلتهم ممن لا يخافون في الحق لومة لائم فما كان ليخيفهم زجر ولا وعيد ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ثابت معروف ، وكثيرا ما كان ينصح العالم الخليفة والأمير ، ويبين له مخالفته للحق والدين .[٧٠]

الجواب للثاني :

إن هذه الشبهة لا تخرج عن سالفتها في التخمين والتظن والافتراض في المسائل العلمية الخطيرة ، وكنا نحب من هذا المشكك ، فالأحاديث والسنن أن يضع نصب أعيننا جنة من النصوص الصحيحة تدل على أن خلفاء بني أمية وحكوماتهم كانوا يرغبون الن اس في الوضع وأنهم كانوا يؤيدون كل ما يريدون لوضع الأحاديث ومن العجب من "جولد تسيهر" العالم المحقق عند المخدوعين به من المستشرقين وأبواقهم من المسلمين الأميين في النقل عندهم أنه وقد أراد أن يؤيد دعواه ، من أن الوضع بدأ في وقت مبكر يذكر ما قاله الصحابي معاو ية للمغيرة بن شعبة " لا تهمل في أن تسب عليها وأن تطلب الرحمة لعثمان ، وأن تسب أصحاب علي ، وتضطهد من أحاديثهم " فيزيد كلمة أحاديثهم ليصل إلى غرضه وهاكم النص كما في تاريخ الطبري .

" لاتترحم عمن شتم عليا وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم ، وإطراءشيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم ".

فنحن لانرى في النص ما يشهد له في دعواه وهكذا تكون امانة المستشرقين في النقل ! والذييقرأ هذا الكلام يخيل إليه أن الأمة الإسلامية كانت همجا رعاعا في العصر الأول وأن الضمير الإسلامي كان متلاشيا أو مضمحلا ، وإلا فبماذا

---

[٦٨] . رواها مسلم في مقدمة صحيحه

[٦٩] . رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن مبارك

[٧٠] . دفاع عن السنة : صـ٢٩٥

نفسر أن العلماء الأتقياء كانوا يضعون أحاديث ضد الأمويين وأن الأمويين كانوا يقابلونهم بالمثل ولو أنه في مزاعمه اقتصر على " باب الفضائل والمثالب " لهان الأمر بعض الشيئ ولكنه صور للقارئ هذه الصورة الخيالية في جميع شئون الدين.

ما استند إليه من أنه لا توجد مسألة خلافية دينية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي ، فردنا عليه :

أننا نمنع أن تكون كل مسائل الخلاف اعتمد فيها أصحابها على الأحاديث قوية من الجهتين ، وكثير من المسائل الخلافية اعتمد فيها أصحابها على أحاديث لا تنهض للاحتجاج بها . كما أن مجرد الاختلاف والإستناد إلى أحاديث قوية لا ينبغي أن يفسر بالوضع ولاختلاف ، فللاختلاف في المسائل الفقهية أسباب معقولة ومحامل صحيحة أفاض في ذكرها العلماء.

فمنها أن يكون الاختلاف من قبيل حكاية الفعل فيما هو من قبيل التوسعة على العباد ، فحكى صحابي أنه فعل فعلا وحكى آخر أنه فعل غيره ، فمثل هذا ليس في الحقيقة تناقضا لأن الفعلين قد يكونان مباحين جائزين أو أحدهما مباحا والآخر وستحبا أو واجبين يكون في أحدهما كفاية عن الآخر ومثل ذلك الوتر بإحدى عشرة ركعة ، أو بتسع أو بسبع أو بخمس أو بثلاث أو بواحدة ، والثلاث أهي بجلوس واحد وتشهد واحد أم هي بجلوسين وتشهدين ونحو ذلك ، فكل ذلك فعله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الاختيار والتوسعة على الأمة وبكل منها وردت الأحاديث الصحيحة فمن روى أنه أوتر بواحدة فهو صادق ، و من روى أنه أوتر بثلاث فهو صادق وهكذا .

ومنها أن يكون صحابي سمع حكما من النبي صلى الله عليه وسلم في قصة ولم يسمعه الآخر ، واجتهد برأيه في حدود القواعد الشرعية والالتزام بالأصول والاجتهادية ، وقد يوافق اجتهاده الحديث ، وقد يخالفه والصحابة لم يكونوا في الملازمة سواء .

ولما جاور النبي صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى تفرق الصحابة في الأمصار الإسلامية ، وقد كان عند بعضهم من الأحاديث ما ليس عند الآخر ، وقد تعرض القضية في المدينة أو غيرها من الأمصار فيجدون فيها حديثا فيحكمون بمقتضاه ، ثم تعرض في مصر آخر فلا يجدون في ها عند أحد من الصحابة والموجودين في هذا المصر حديثا ، فيحكم بالاجتهاد يظهر أن في المسألة حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم موجودا عند صحابي آخر فإذا ما نقل عن الصحابة أنهم حكموا في هذه المسألة بما يخالف الحديث الذي لم يطلعوا عليه ونقل إلينا الحديث فلا يكون ذلك قادحا في الحديث لأنه لم يبلغهم.

وقد يكون منشأ الخلاف في الرواية اختلاف وجهة النظر في حكاية حال شاهدوها من رسول الله ، وإلى هذا السبب يرجع كثير من الخلاف في الرواة وذلك مثل اختلافهم في حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي حجة الوداع : أكان النبي صلى الله عليه وسلم قارنا ، أم كان مفردا ، أم كان متمتعا ، فقد رآه بضهم وقد أحرم بالحج فروى أنه كان مفردا ، ورآه بعضهم بعد ما أدخل العمرة على الحج فروى أنه كان قارنا ، ومن روى أنه كان متمتعا فإنما أراد به التمتع اللغوي لا الشرعي .

وقد يكون منشأ إختلاف الرواية عن الصحابة الاختلاف في فهم المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في طريق الجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض أو في علة الحكم أو في ترجيح نص على نص .

وقد يكون الاختلاف لأن في الحديث عاما،وخاصا،ومطلقا،ومقيدا،ومجملا،ومبينا فمنهم من يرى أنه على عمومه،ومنهم من يرى أنه عام مخصوص،ومنهم من يرى على اطلاقه ومنهم من يرى أنه مقيد إلى غير ذلك فمن لم يتعمق في الدراسات الإسلامية الأصلية يظن بادىء الرأى أنه تناقض،وأنه أثر من آثار الوضع والإختلاق،ولو تعمق وبحث بحثا مجردا عن الهوى والتعصب لظهر له الحق .

أما الجواب عن الشبهة الثالثة :

وهي ما زعمه "جولد تسيهر" من أن الأمويين استغلوا أمثال الزهري، فوضعوا لهم أحاديث مثل حديث ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى))[٧١] فغرضه تقويض الدعامة الأساسية التي قام عليها علم الرواية في الإسلام ،وهم الرواة وأنهم قوم كانوا يتبعون هوى الخلفاء والأمرء، وإذا كان هذا حال الزهرى وهو علم الحفاظ،من كبار العلماء الذين نشروا الحديث،على هذه الحال،فما بالك بغيره من الرواة الذين هم دون الزهري علما وجلالة،ويستهويهم رضا الخلفاء،والأمراء؟ فهم قصدوا بالطعن في الزهرى وأمثاله الطعن فيه بخاصة وفي الرواة بعاة وقد أكثرت القول في الرد على هذه الشبهة فيما سبق ، وافتراءه على هذا الحديث بأنه موضوع ، وكذلك ما زعموا أنه وضع في بيت المقدس ، والصخرة وبلاد الشام ولعل القارئ على ذكر منه .

الشبهة الخامسة : إن السنة لم تكن شرعا عند النبي صلى الله عليه وسلم :

خلاصة هذه الشبهة قولهم: إن السنة لم تكن شرعاً عند النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون سنته مصدراً تشريعياً للدين وما قال شيئاً أو فعله بقصد التشريع ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم في حياته أن يكون ثمة مصدر تشريعي سوى القرآن المجيد بل كان مصدر التشريع عند الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن وحده وكذلك فهم الصحابة رضوان الله عليهم وجاء عهد التابعين الذين بدأت فيه فتنة القول بالسنة وأنها مصدر من مصادر التشريع وكانت تلك قاصمة الظهر بالنسبة للدين حيث دخل فيه ما ليس منه واختلط بالوحي الصحيح الخالص الذي هو القرآن ما ليس من الوحي بل هو كلام البشر التي هي السنة النبوية

وهم يزعمون أن لهم أدلة على ذلك وهي:

١.إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بكتابة القرآن الكريم وحضهم على ذلك ونهى أصحابه عن كتابة شيء من السنة قولاً كانت أو فعلا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه))[٧٢]

---

[٧١] . سبق تخريجه

[٧٢] . رواه مسلم في كتاب الزهد جـ١٨ صـ١٢٩

٢. إ ن الصحابة رضوان عليهم عرفوا من النبي صلى الله عليه و سلم أن السنة ليست شرعاً فأهملوا كتابتها وحفظها رغم اهتمامهم الشديد بكتابة القرآن المجيد على كل ما يصلح أن يكْتب عليه

٣. إن كبار الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم الخلفاء الراشدون كانوا يكرهون رواية الأحاديث ويحذرون منها وكان عمر رضي الله عنه يهدد رواة الحديث ويتوعدهم وقد حبس عمر بن الخطاب عدداً من الصحابة بسبب روايتهم للحديث تنفيذاً لوعيده وتهديده إياهم بعدم رواية الحديث[٧٣]

الرد على الشبهة وتفنيدها:

يمكن أن نرد على هذه الشبهة في عدة نقاط:

١. أما قولهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الحديث بينما حضَّ على كتابة القرآن وحفظه وكان له صلى الله عليه وسلم كتبة القرآن فقول مبالغ فيه ويقوم على التدليس وذكر بعض الحق وإخفاء البعض وليس من شك في أن القرآن المجيد قد لقي من العناية بكتابته وحفظه ما لم يكن للسنة النبوية فهو مصدر الدين الأول وهو أعلى من السنة منزلة وقداسة وهو أحق بالعناية والاهتمام بكتابته وحفظه لذلك حظي القرآن من العناية بما لمتحظ به السنة

وبخاصة تدوينها وكتابتها والأسباب التي جعلت الصحابة يهتمون بكتابة القرآن فوق اهتمامهم بكتابة السنة كثيرةمنها : أن القرآن الكريم محدود بحدود ما ينزل به جبريل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم فكتابته والإحاطة به أيسر وهم على ذلك أقدر أما السنة النبوية من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله فكثيرة ومتشعبة تتضمن أقواله عليه السلام وأفعاله اليومية وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة عاشها صلى الله عليه وسلم بينهم وهذا أمر يشق كتابته وتدوينه وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار ندرة أو قلة الكاتبين بين الصحابة رضوان الله عليهم ومنها : أن كتابة القرآن ضرورة يفرضها ويحتمها كون القرآن العظيم وحي الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ولا تجوز روايته بالمعنى أما السنة فتجوز روايتها بالمعنى ويجوز في السنة أن يقول القائل : " أو كما قال " وما هو من قبيلها وليس ذلك جائزاً في القرآن ومنها: أن الكاتبين بين الصحابة رضوان الله عليهم كانوا قلة وليس في مقدورهم أن يكتبوا السنة والقرآن معاً وإذا كان ثمة اختيار بين أيهما يكتب الصحابة العارفون الكتابة فليكن المكتوب هو القرآن وذلك حتى يسلموه لمن بعدهم محرراً مضبوطاً تاماً لم يزد فيه ولم ينقص منه حرف

وأما احتجاجهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة غير القرآن، وغير القرآن هو السنة فهو احتجاج باطل من وجوه أولها:

أن هذا الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)).[٧٤] هذا الحديث معلول أعله أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله البخاري وغيره بالوقف على أبي سعيد".

ولو صرفنا نظراً عن هذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نهى عن الكتابة، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم الإذن بها بل الأمر بها في أحاديث أخر ولذلك قلنا إن استدلالهم فيه تدليس حيث ذكروا حديث النهي ولم يشيروا إلى أحاديث الإذن وهي كثيرة منها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم الفتح فقال " إن الله حبس عن مكة القتل – أو الفيل الشك من البخاري

---

٧٣ . http://www.shamela.ws

٧٤ . تقدم تخريجه

وسلط عليهم رسول الله والمؤمنون .. " ولما انتهى من خطبته جاء رجل من أهل اليمن فقال : اكتب لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: ((اكتبوا لأبي شاة))[٧٥] ومنها : ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : ((ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبد الله بن عمرو فقد كان يكتب ولا أكتب)).[٧٦] ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن بعض الصحابة حدثه فقال : إنك تكتب عن رسول الله كل ما يقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم – بشر يغضب فيقول ما لا يكون شرعاً، فرجع عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قيل له، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج من فمي إلا الحق))[٧٧] وهذه الروايات في الصحيح وهناك غيرها ضعيف وهي كثيرة فإذا ما وازنا بين روايات المنع وروايات الإذن" وجدنا أبا بكر الخطيب رحمه الله (ت٤٦٣هـ) قد جمع روايات المنع فلم يصح منها إلا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق ذكره وقد بينا أن الإمام أبا عبد الله البخاري قد أعله بالوقف على أبي سعيد وكذلك فعل غيره بينما أحاديث الإذن كثيرة والصحيح منها كثير روينا بعضه ومنها : إضافة إلى ما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته: ((ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده))[٧٨]

وقد اجتهد العلماء في الجمع بين أحاديث الإذن وأحاديث المنع، فنتج عن ذلك آراء أهمها:

أ. أن ذلك من منسوخ السنة بالسنة أي أن المنع جاء أولاً ثم نسخ بالإذن في الكتابة بعد ذلك وإلى ذلك ذهب جمهرة العلماء، ومنهم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث وقد قالوا إن النهي جاء أولاً خشية التباس القرآن بالسنة فلما أمن الالتباس جاء الإذن

ب. أن النهي لم يكن مطلقاً، بل كان عن كتابة الحديث والقرآن في صحيفة واحدة أما في صحيفتين فمأذون به

ج. أن الإذن جاء لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون لأنفسهم، ويؤمن عليهم الخلط بين القرآن والسنة . وهناك آراء غير ذلك لكن الذي يتضح من روايات المنع وروايات الإذن أن الإذن جاء آخراً فإن كان نسخ فهو الناسخ للمنع وهذا الذي رواه الجمهور وبهذا يسقط استدلالهم بحديث المنع الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه هذا الحديث الذي يعدونه حجر الزاوية في احتجاجهم بعدم تشريعية أو حجية السنة ويكثرون اللجاج به.

٢. أما قولهم إن الصحابة رضوان الله عليهم قد فهموا من النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة ليست شرعاً فانصرفوا عنها ، ولم يهتموا بكتابتها أو الالتزام بها فهذا من الكذب والمكابرة والمطلع على المدونات في كتب السنة وتاريخ العلوم وما كتب العلماء في مواقف الأمة المسلمة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخاصة موقف الصحابة رضوان الله عليهم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع بكذب هؤلاء ويعجب من مدى تبجحهم وافترائهم على الحق إلى حد قلب الأوضاع وعكس الأمور . فقد كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحرص الخلق على ملاحظة أقوال رسول الله – صلى الله عليه وسلم وأفعاله وحفظها والعمل بها بل بلغ من حرصهم على تتبع كل صغيرة وكبيرة وحفظها ووعيها والعمل بها أن كانوا يتناوبون ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحدث عنه البخاري بسنده المتصل إليه. يقول : ((كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد من عوالي المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوماً فإذا

---

[٧٥] . أخرجه البخاري : جـ١ صـ٢٩ – ٣٠ ومسلم صـ٤ صـ١١١

[٧٦] . أخرجه البخاري في كتاب العلم : جـ١ صـ٣١٣

[٧٧] . أخرجه أبوداود في باب كتابة العلم : جـ١ صـ٧٩

[٧٨] . أخرجه البخاري في كتاب العلم : جـ١ ص٣١٥

نزلت جئته بخبر ذلك اليوم وإذا نزل فعل مثل ذلك))[٧٩] وما كان ذلك إلا لحرصهم الشديد على معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعها والالتزام بها... وقد كان الصحابة يقطعون المسافات الطويلة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم الله في بعض ما يعرض لهم يروي البخاري عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أن امرأة أخبرته أنها أرضعته هو وزوجه فركب من فوره من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن حكم الله فيمن تزوج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاع ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (كيف وقد قيل ؟) ففارق زوجه لوقته وتزوجت بغيره[٨٠]

وكان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على أن يسألوا أزواج النبي رضوان الله عليهن عن سيرته وسنته في بيته وكانت النساء يذهبن إلى بيوت أزواج النبي يسألنهن عما يعرض لهن وهذا معروف مشتهر غني عن ذكر شاهد أو مثال

بل لقد بلغ من حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الالتزام بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يلتزمون ما يفعل ويتركون ما يترك دون أن يعرفوا لذلك حكمة، ودون أن يسألوا عن ذلك ثقة منهم بأن فعله صلى الله عليه وسلم وحي فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ((اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب ثم نبذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال (إني لن ألبسه أبداً) فنبذ الناس خواتيمهم)).[٨١]

وروى القاضي عياض في كتابه " الشفا " عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعها عن يساره فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم فلما قضى صلاته قال : " ما حملكم على إلقاء نعالكم " ؟ قالوا : يا رسول الله رأيناك ألقيت نعليك، فقال : إن جبريل أخبرني أن فيهما قذرا))[٨٢] وأورد ابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " عن ابن مسعود رضي الله عنه " أنه جاء يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب، فسمعه يقول : (اجلسوا) فجلس بباب المسجد أي حيث سمع النبي يقول ذلك فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (تعال يا عبد الله بن مسعود)

إلى هذا الحد بلغ حرص الصحابة رضوان الله عليهم على معرفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله والالتزام بها والاستجابة لأمره ونهيه من فورهم كما فعل عبد الله بن مسعود ومن غير أن يدركوا حكمة الفعل كما في إلقائهم نعالهم في الصلاة ونبذهم خواتيم الذهب ولم يكن ذلك إلا استجابة لله تعالى في أمره بطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم والاقتداء به كما في قوله عز وجل :{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا}[٨٣] ثم استجابة لرسوله صلى الله عليه وسلم في أمره الأمة باتباع سنته والالتزام بها كما في قوله صلى الله عليه وسلم : ((خذوا عني مناسككم))[٨٤] وقوله عليه الصلاة والسلام : ((صلوا كما رأيتموني أصلي)).[٨٥] وقوله صلى الله عليه وسلم : ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: من أطاعني

---

[٧٩] . أخرجه البخاري
[٨٠] . أخرجه البخاري
[٨١] . أخرجه البخاري ٧٢٩٨
[٨٢] . رواه أبوداود في باب الصلاة في النعل : جـ٢ صـ٣٥٣
[٨٣] . الأحزاب : ٢١
[٨٤] . رواه النسائي : جـ٥ صـ٢٧٠
[٨٥] . أخرجه البخار جـ٣ صـ٣١٥

دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى))[٨٦] وقوله صلى الله عليه وسلم ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين للراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ..))[٨٧] هذا قليل من كثير مما يبين موقف الصحابة رضوان الله عليهم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موقف يتسم بالحرص الشديد والاهتمام

البالغ على معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها والالتزام بها بل وتبليغها إلى من يسمعها استجابة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((نضر الله امرأ سمع مقالتي ووعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلَّغ أوعى من سامع))[٨٨]

ومن هذا يتبين مدى كذب أعداء السنة وأعداء الله ورسوله في ادعائهم الذي سلف ذكره.

٣-وأما دعواهم بأن كبار الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يكرهون رواية الحديث وكان عمر رضي الله عنه يتهدد رواة السنة وأنه نفذ وعيده فحبس ثلاثة من الصحابة بسبب إكثارهم من رواية السنة فهذا كذب يضاف إلى ما سبق من دعاواهم الكاذبة وفيه جانب من التدليس الذي لا يخلو عنه كلامهم.

أما أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يكرهون رواية الحديث فهذا باطل والحق أنهم كانوا يخشون روايتها ويهابون من ذلك لعظم المسؤولية ووعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من يكذب عليه في قوله عليه السلام((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))[٨٩] ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم بين أمرين هم حريصون على كل منهما أولهما : تبليغ دين الله إلى من يليهم من الأمة ثانيهما : التثبت والتحري الشديد لكل ما يبلغونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك كان الواحد منهم يمتقع وجهه، وتأخذه الرهبة وهو يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصواب إذن أن الصحابة كانوا يهابون رواية الحديث بسبب شدة خوفهم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الخطأ فيما يروون وليس كما يزعم هؤلاء أن ذلك لأنهم كانوا يرون السنة غير شرعية أو أنها ليست مصدراً تشريعياً. أما دعوى حبس عمر رضي الله عنه ثلاثة من أصحابه هم : عبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وأبو الدرداء رضي الله عنهم فهذه رواية ملفقة كاذبة، جرت على الألسنة وقد ذكرها البعض كما تجري على الألسنة وتدون في كتب الموضوعات من الأحاديث والوقائع فليس كل ما تجري به الألسنة أو تتضمنه بعض الكتب صحيحاً وقد تولى تمحيص هذه الدعوى الكاذبة الإمام " ابن حزم " رحمه الله في كتابه : " الإحكام " فقال : وروي عن عمر أنه حبس ابن مسعود، وأبا الدرداء وأبا ذر من أجل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أن طعن ابن حزم

في الرواية بالانقطاع محصها شرعاً فقال : إن الخبر في نفسه ظاهر الكذب والتوليد لأنه لا يخلو : إما أن يكون عمر اتهم الصحابة وفي هذا ما فيه أو يكون نهى عن نفس الحديث وتبليغ السنة وألزمهم كتمانها وعدم تبليغها وهذا خروج عن الإسلام وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك، وهذا قول لا يقول به مسلم ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين فلقد ظلمهم فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات أي الطريقين الخبيثين شاء"[٩٠]

---

[٨٦] . أخرجه البخاري
[٨٧] . أخرجه أبوداود في كتاب العلم : جـ١٠ صـ٧٩
[٨٨] . أخرجه البخاري : ١٠٦
[٨٩] . رواه الشيخان
[٩٠] . السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي :صـ٦٦

الشبهة السادسة : قولهم لو كانت السنة حجة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها والعمل الصحابة

لو كانت السنة حجة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها والعمل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم من بعد على جمعها وتدوينها .فإن حجيتها تستدعي الاهتمام بها العناية بحفظها والعمل على صيانتها حتى لايبعث بها العابثون ولا يبدلها المبدلون .ولا ينساها النساها الناسون ولا يخطىء فيها الم قصورون .وحفظها وصيانتها إنما يكون بالأمر بتحصيل سبيل القطع بثبوتها للمتأخرين .فإن ظني الثبوت لا يصح الاحتجاج به كما يدل عليه قوله تعالى : { ولا تقف ما ليس لك به علم }[٩١]

وقوله { إن يتبعون إلا الظن }[٩٢] ولا يحصل القطع بثوتها إلا بكتابتها وتدوينها كما هو الشأن في القرآن .لكن التالي باطل. فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على عدم الأمر بكتابتها بل تعدى ذلك إلى النهي عنها والأمر بمحو ما كتب منها. وكذلك فعل الصحابة والتابعون ولم يقتصر الأمر منهم على ذلك بل امتنع بعضهم من التحديث بها أو قلل منه ونهى الآخرين عن الإكثار منه. ولم يحصل تدوينها وكتابتها ألا بعض مضي مد طويلة تكفي لأن يحصل فيها من الخطأ والنسيان التلاعب والتبديل والتغيير ما يورث الشك في أي شيء منها وعدم القطع به ويجعلها جديرة بعدم الاعتماد عليها أخذ حكم منها.

فهذا الي حصل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن الص حابة والتابعين يدل على أن الشارع قد أاد عدم حصول سبيل القطع بثبوتها . وهذه الإرادة تدل على أنه لم يعتبرها وأراد أن لا تكون حجة .

وإليك من الأحاديث والآثار ما يقنعك بنا ادعينا حصوله من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين :

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : ((لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه .وحدثوا عني ولا خرج .ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار))[٩٣]

روى أحمد عنه أنه قال :((كنا قعودا نكتب ما نسمع من النبي صلى الله عليه وسلم ف خرج علينا فقال : (ما هذا تكتبون ؟) فقلنا ما نسمع منك : فقال :(أكتاب مع كتاب الله أمحضوا كتاب الله وخلصوه). قال فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار . قال : أي رسول الله .أنتحدث عنك؟ قال : (نعم . تحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار).قال :فقلنا : يارسول الله . أنتحدث عن بني إسرائيل ولا حرج . فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه))[٩٤]

---

[٩١] . سورة بني إسرائيل : ٣٦
[٩٢] . النجم : ٢٣
[٩٣] . رواه مسلم
[٩٤] . رواه أحمد

وروى أبو داود عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أنه قال : دخل زيد بن ثابت إلى معاوية رضي الله عنهما فسأله معاوية عن حديث فأخبره به فأمر معاوية إنسانا يكتبه . فقال له زيد : إن رسول الله أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديثه.فمحاه.

وروى الذهبي في التذكرة : أن أبا هريرة سئل :أكنت تحدث في زمان عمر هكذا فقال :لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته .

وقد ورد كثير من الأحاديث ولآثار بمنع كتابة السنة وقد إقتصرت على ذكر ثلا ثة خيف لطول الكلام .

الجواب

١. فإن قال قائل : لو كان الأمر قد إقتصر على أن لا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة السنة لكان فيما ذكرته مقنع لنا ومدفع لشبهتنا .لكن الأمر لم يقتصر على ذلك . بل تعداه إلى نهيه عن كتابتها وأمره بمحو ما كتب منها، وذلك يدلنا على رغبته في عدم نقلها إلى من بعده. وتلك الرغبة تستلزم عدم حجيتها، إذ لو كانت حجة لما منع من نقلها بأي طريق من طرق النقل . قلت : لا يجوز بأي حال أن يكون نهيه عن الكتابة دليلا على رغبته في عدم نقلها وعلى عدم حجيتها . لما بيناه لك فيما سبق من أن الكتابة ليست من لوازم الحجية. ومن أنها لا تفيد القطع . وكيف نهيه صلى الله عليه وسلم دليل على عدم الحجية . والنبي صلى الله عليه وسلم عقب هذا النهي مباشرة بأمر أصحابه بالتحديث عنه الذ هو أبلغ في النقل وأقوى على ما علمت . وفي الوقت نفسه يتوعد من يكذب عليه متعمدا أشد الوعيد كما في حد يث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه مسلم . ويقول فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة ((ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه))[٩٥]

وفيما رواه أحمد عن زيد بن ثابت ((نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . ورب حامل فقه ليس بفقيه))[٩٦] وفيما رواه الترمذي عن ابن مسعود ((نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ورب مبلغ أوعى من سامع))[٩٧]

ويقول فيما رواه الشافعي وغيره عن أبي رافع ((لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما نهيت عنه أو أمرت به فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه .))[٩٨]

٢. الحكمة في النهي عن كتابة السنة :-

للعلماء في بيان حكمة هذا النهي أقوال :

القول الأول : أنه نهاهم عن كتابتها خشية اختلاطها بالقرآن واشتباهه بها

القول الثاني : أنه نهى عن كتابتها خوف اتكالهم على الكتابة وإهمالهم للحفظ الذي هو طبيعتهم وسجيتهم وبذلك تضعف فيهم ملكته.

---

[٩٥] . أخرجه البخاري ومسلم
[٩٦] . رواه أحمد
[٩٧] . رواه الترمذي
[٩٨] . أخرجه أبوداود

ولذلك كان النهي خالصا بمن كان قوي الحفظ آمنا من النسيان وأما من كان ضعيفه : فقد كان يجيز له الكتاب كما سيأتي في أبي شاه وكذلك أجاز كتابتها لمن قوي حفظه لما كثرت جدا وفاتت الحصر والعد وضعفت عن حفظ جميعها . كما حصل لعبد الله بن عمرو .

القول الثالث : أن العارفين بالكتابة كانوا في صدر الإسلام قليلين فاقتضت الحكمة قصر مجهودهم على كتابة القرآن . وعدم اشتغالهم بكتابة غيره تقديم ا للأهم على المهم .

ولذلك لما توافر عددهم أذن صلى الله عليه وسلم في كتابة الحديث . كما حدث لعبد الله بن عمرو . وكما حدث في مرض وفاته من همه بالكتابة . كما سيأتي.

القول الرابع : أنه نهاهم خشية الغلط فيما يكتبون من السنة لضعفهم في الكتابة . وعدم إتقانهم لها وإصرابتهم في التهجي.[٩٩]

٣. ثبوت إذنه صلى الله عليه وسلم بكتابة السنة :

لقد روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال ((قلت يا رسول الله أأقيد العلم ؟ قال : قيد العلم))[١٠٠] قال عطاء : وما تقييد العلم ؟ قال : كتابته. وفي رواية أخرى ((فقال له يا رسول الله وما تقييده ؟ ق ال :"الكتاب". رواه ابن قتيبة أيضا من طريق ابن جريج عن عطاء . والمراد من العلم خصوص الحديث .

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال : ((كنت أكتب كل شيئ أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيد أريد حفظه ، فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيئ تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا .فأمسكت عن الكتاب . فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق)).[١٠١]

وعن مجاهد والمغيرة بن حكيم أنهما قالا :سمعنا أبا هريرة يقول : ((ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب بيده ويعي بقلبه وكنت أعي ولا أكتب : استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب فأذن له)).[١٠٢]

ولما فتح الله على رسوله مكة خطب للناس فحينذ قام أبو شاه وهو من أهل اليمن قال :اكتبوا لي يارسو ل الله : فقال : (اكتبوا لأبي شاه).غيرها من الأحاديث الى امرها بها .

٤. الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن :-

إن للعلماء في الجمع بين هذين النوعين يعني بين أحاديث الإذن والنهي من الأحاديث أقوالا :

أ. أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره .والإذن في غير ذلك الوقت .

---

[٩٩] . دفلع عن السنة : صـ ٤٤٤
[١٠٠] . المعجم الكبير للطبراني
[١٠١] . مسند أحمد
[١٠٢] . مسند أحمد

ب. أن النهي خاص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة .لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية فربما كتبوه معها فنهوا عن ذلك خوف الاشتباه . والذن إنما كان بكتابة الحديث في صحف مستقلة ليس فيها شيء من القرآن .

ت. أن يكون النهي من منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى في أول الأمر عن أن يكتب قوله ثم رأى – لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ – أن يكتب وتقيد.

ث. أن النهي لمن أمن عليه النسيان ووثق بحفظه وخيف اتكاله على الخط إذا كتب والإذن لمن خيف نسيانه ولم يوثق بحفظه أو لم يخف اتكاله على الخط إذا كتب .

ج. أن النهي خاص بكتاب الوحي المتلو القرآن الذين كانوا يكتبونه في صحف لتحفيظ في بيت النبوة . فلو أنه أجاز لهم كتابة الحديث لم يؤمن أن يختلط القرآن بغيره . والإذن لغيرهم .[١٠٣]

الشبهة السابعة : تمسكهم بأخبار منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تؤيد بحسب زعمهم ما ذهبوا إليه من عدم الاحتجاج بالسنة ، ووجوب عرض ما جاء فيها على كتاب الله....

ومن هذه الأخبار ما روي أنه – صلى الله عليه وسلم – دعا اليهود فحدّثوه فخطب الناس فقال : ((إن الحديث سيفشو عنِّي ، فما أتاكم يوافق القرآن فهو عنِّي ، وما أتاكم يخالف القرآن فليس عنِّي) ، فقالوا : إذا أثبتت السنة حكماً جديداً فإنها تكون غير موافقة للقرآن ، وإن لم تثبت حكماً جديداً فإنها تكون لمجرد التأكيد فالحجة إذاً في القرآن وحده.

ومن هذه الأخبار التي استدلوا بها ما روي أنه – صلى الله عليه وسلم– قال : ((إذا حدِّثتم عنِّي حديثاً تعرفونه ولا تنكرونه ، قلته أم لم أقله فصدّقوا به ، فإني أقول ما يعرف ولا ينكَر ، وإذا حدِّثتم عنِّي حديثاً تنكرونه ولا تعرفونه فلا تصدِّقوا به ، فإنيلا أقول ما ينكَر ولا يعرف))[١٠٤] ، فقالوا هذا يفيد وجوب عرض الحديث المنسوب إليه – صلى الله عليه وسلم – على المستحسن المعروف عند الناس من الكتاب أو العقل ، فلا تكون السنة حجَّة حينئذ.

ومن تلك الأخبار أيضاً ما روي أنه – صلى الله عليه وسلم – قال : ((إني لا أحلُّ إلا ما أحلَّ الله في كتابه ، ولا أحرِّم إلا ما حرَّم الله في كتابه)) ، وفي رواية : ((لا يمسكنَّ الناس عليَّ بشيء ، فإني لا أحلُّ لهم إلا ما أحلَّ الله ولا أحرَّم عليهم إلا ما حرَّم الله)).

هذه هي خلاصة الشبه التي أوردوها ، وهي شبه ضعيفة متهافتة لا تثبت أمام البحث والنظر الصحيح ، وتدل على مبلغ جهلهم وسوء فهمهم .

الرد على هذه الشبهة و تفنيدها : أما الحديث الأول : ((إن الحديث سيفشو عني ....)) فإن أحاديث العرض على كتاب الله كلها ضعيفة لا يصح التمسك بشيء منها كما ذكر أهل العلم ، فمنها ما هو منقطع ، ومنها ما بعض رواته غير ثقة أو مجهول ، ومنها ما جمع بين الأمرين ، وقد بيَّن ذلك ابن حزم و البيهقي ، و السيوطي ، وقال الشافعي في الرسالة : " ما روى هذا أحدٌ يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير ، وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول ونحن لا نقبل هذه الرواية في شيء" ، بل نقل ابن

---

[١٠٣] . دفاع عن السنة صـ٤٥٨، ٤٥٩

[١٠٤] . مشكل الآثار للطحاوي

عبد البر في جامعه عن عبد الرحمن بن مهدي قوله: " الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث" ، ثم قال : " وهذه الألفاظ لا تصح عنه – صلى الله عليه وسلم – عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه" .

بل إن الحديث نفسه يعود على نفسه بالبطلان ، فلو عرضناه على كتاب الله لوجدناه مخالفاً له ، فلا يوجد في كتاب الله أن حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يقبل منه إلا ما وافق الكتاب ، بل إننا نجد في القرآن إطلاق التأسي به – صلى الله عليه وسلم والأمر بطاعته ، والتحذير من مخالفة أمره على كل حال ، فرجع الحديث على نفسه بالبطلان

ومما يدل على بطلانه كذلك معارضته الصريحة لقوله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الذي رواه أبو داود : ((لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)).[١٠٥]

وعلى التسليم بصحة الخبر فليس المراد منه أن ما يصدر عن النبي –صلى الله عليه وسلم نوعان: منه ما يوافق الكتاب فهذا يعمل به ، ومنه ما يخالفه فهذا يردُّ ، بل لا يمكن أن يقول بذلك مسلم ، لأن في ذلك اتهاماً للرسول عليه الصلاة والسلام بأنه يمكن أن يصدر عنه ما يخالف القرآن ، وكيف لمؤمن أن يقول ذلك وقد ائتمنه الله على وحيه ودينه وقال له : { قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي }[١٠٦]. فالرسول عليه الصلاة والسلام معصوم من أن يصدر عنه ما يخالف القرآن ، ولا يمكن أن يوجد خبر صحيح ثابت عنه مخالف لما في القرآن.

فيكون معنى الحديث إذاً : " إذا روي لكم حديث فاشتبه عليكم هل هو من قولي أو لا فاعرضوه على كتاب الله ، فإن خالفه فردُّوه فإنه ليس من قولي " ، وهذا هو نفسه الذي يقوله أهل العلم عندما يتكلمون على علامات الوضع في الحديث ، فإنهم يذكرون من تلك العلامات أن يكون الحديث مخالفاً لمحكمات الكتاب ، ولذلك قال " فما أتاكم يوافق القرآن : فهو عنِّي ، وما أتاكم يخالف القرآن فليس عنِّي".

وعندما نقول : إن السنة الصحيحة لابدَّ وأن تكون موافقة للقرآن غير مخالفة له ، فلا يلزم أن تكون هذه الموافقة موافقة تفصيلية في كل شيء ، فقد تكون الموافقة على جهة الإجمال ، فحين تبين السنة حكماً أجمله القرآن ، أو توضِّح مُشْكلاً ، أو تخصص عامَّاً أو تقييد مطلقاً ، أو غير ذلك من أوجه البيان ، فهذا البيان في الحقيقة موافق لما في القرآن ، غير مخالف له

بل حتى الأحكام الجديدة التي أثبتتها السنة ودلَّت عليها استقلالاً ، هي أيضاً أحكام لا تخالف القرآن ، لأن القرآن سكت عنها على جهة التفصيل ، وإن كان قد أشار إليها وتعرض لها على جهة الإجمال حين قال : { وما آتَاكُم الرَّسولُ فَخذُوه وما نَهاكُم عنه فَانْتهوا }[١٠٧]

وأما الحديث الثاني : ((إذا حدِّثتم عنِّي حديثاً تعرفونه ولا تنكرونه ....)) ، فرواياته ضعيفة منقطعة كما قال البيهقي و ابن حزم وغيرهما ، فضلاً عما فيه من تجويز الكذب عليه – صلى الله عليه وسلم – وذلك في عبارة : ((ما أتاكم من خبر فهو عنِّي قلته أم لم أقله)) ، وحاشا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يسمح بالكذب عليه وهو الذي تواتر عنه قوله في الصحيحين : ((من كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار)) وقد روي هذا الحديث من طرق مقبولة ليس فيها لفظ (قلته أم لم أقله) منها

---

[١٠٥] . تقدم تخريجه
[١٠٦] . يونس :١٥
[١٠٧] . الحشر :٧

رواية صحيحة أخرجها الإمام أحمد : ((إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفرمنه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه))[١٠٨]

والمراد منه أن من أدلة صحة الحديث وثبوته أن يكون وفق ما جاءت به الشريعة من المحاسن ، وأن يكون قريباً من العقول السليمة والفطر المستقيمة ، فإن جاء على غير ذلك كان دليلاً على عدم صحته ، وهذا هو الذي يقوله علماء الحديث عند الكلام على العلامات التي يعرف بها الوضع وليس هذا مجال بسطها.

نعم قد تقصر عقولنا عن إدراك الحكمة والعلة ، فلا يكون ذلك سبباً في إبطال صحة الحديث وحجيته ، فمتى ما ثبت الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجب علينا قبوله وحسن الظن به ، والعمل بمقتضاه ، واتهام عقولنا ، قال ابن عبد البر: كان أبو إسحاق إبراهيم بن سيار يقول : " بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب من فم القربة ، فكنت أقول : إن لهذا الحديث لشأناً ، وما في الشرب من فم القربة حتى يجيء فيه هذا النهي ؟ فلما قيل لي : إن رجلاً شرب من فم القربة فوكعته حية فمات ، وإن الحيات والأفاعي تدخل أفواه القرب علمت أن كل شيء لا أعلم تأويله من الحديث أن له مذهباً وإن جهلته ".

وأما الحديث الثالث : ((إني لا أحلُّ إلا ما أحلَّ الله في كتابه ....)) ، فهو حديث منقطع في كلتا روايتيه كما قال الشافعي و البيهقي و ابن حزم .

وعلى فرض صحته فليس فيه أيُّ دلالة على عدم حجية السنة بل المراد بقوله: " في كتابه " ما أوحى الله إليه –كما قال البيهقي – فإن ما أوحى الله إلى رسوله نوعان : أحدهما وحي يتلى ، والآخر وحي لا يتلى ، ففسَّر الكتاب هنا بما هو أعم من القرآن . وقد ورد في السنة استعمال الكتاب في هذا المعنى في الحديث الذي رواه الإمام البخاري حيث قال –صلى الله عليه وسلم – لأبي الزاني بامرأة الرجل الذي صالحه على الغنم والخادم: ((والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، الوليدة والغنم ردٌّ ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها فغدا إليها فاعترفت فأمر بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فرُجمت))[١٠٩] فجعل – صلى الله عليه وسلم – حكم الرجم والتغريب في كتاب الله ، مما يدُلُّ على أن المراد عموم ما أوحي إليه .

وحتى لو سلمنا أن المراد بالكتاب القرآن ، فإن ما أحلَّه رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أو حرمه ولم ينص عليه القرآن صراحة ، فهو حلال أو حرام في القرآن لقول الله تعالى: { وما آتَاكُم الرَّسولُ فَخذُوه وما نَهاكُم عنه فَانْتَهوا} ، ولقوله – صلى الله عليه وسلم – : ((ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله –صلى الله عليه وسلم –كما حرم الله))[١١٠] رواه الترمذي وغيره.

وأما رواية : ((لا يمسكنَّ الناس عليَّ بشيء...)) ، فقد قال فيها الشافعي إنها من رواية طاووس وهو حديث منقطع. ...

وعلى افتراض ثبوتها فليس معناها تحريم التمسك بشيء مما جاء عنه – صلى الله عليه وسلم – أو الاحتجاج به . وإنما المراد أنه – صلى الله عليه وسلم – في موضع القدوة والأسوة ، وأن الله عز وجل قد خصَّه بأشياء دون سائر الناس فأبيح له ما لم يبح لغيره ،

---

[١٠٨] . أخرجها الإمام أحمد
[١٠٩] . أخرجه البخاري
[١١٠] . رواه الترمذي وغيره

وحرم عليه ما لم يحرم على غيره ، فكان المعنى : لا يتمسكن الناس بشيء من الأشياء التي خصني الله بها ، وجعل حكمي فيها مخالفاً لحكمهم ، ولا يقس أحد نفسه ع ليَّ في شيء من ذلك ، فإن الحاكم في ذلك كله هو الله تعالى ، فهو الذي سوى بيني وبينهم في بعض الأحكام ، وفرَّق بيني وبينهم في بعضها الآخر.

وبهذا يتبين أن الأحاديث التي استند إليها أصحاب هذه الشبهة منها ما لم يثبت عند أهل العلم ، ومنها ما ثبت ولكن ليس فيه دليل على دعواهم ، فلم يبق لهؤلاء الذين نابذوا السنة ، وتأولوا القرآن على غير وجهه -من حجة إلا اتباع الهوى ، وصدق الله إذ يقول :{ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[١١٢]

الشبهة الثامنة : التعارض بين السنة والقرآن في الكثير

و من شبهاتهم أيضا أن بين السنة والقرآن تعارضا في الكثير كما يزعمون أن السنة تتعارض فيما بينها ويرتبون على ذلك النتيجة التي قدموا لها لأنه لا داعي للأخذ بالسنة أي بالأحاديث النبوية.

الرد على هذه الشبهة :

إن علماءنا الأفاضل وقفوا أمام شبهة التعارض المزعومة هذه سواء كانت تعارضا مزعوما بين القرآن والحديث أو بين الأحاديث بعضها مع بعض ومن أمثلة التعارض الأول حسب زعمهم أي التعارض بين القرآن وا لسنة أن يأمر القرآن بقراءة ما تيسر من القرآن في الصلاة في قوله { فاقرأوا ما تيسر من القرآن }[١١٢] ثم يقول الحديث النبوي: ((لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)) فنقول ببساطة شديدة أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون تعارضا أبدآ و لكنه تخصيص للعام و هذا الأمر من بديهيات علوم الشريعة فأمر القرآن عام خصصته السنة النبوية ومثله قول القرآن {وأحل الله البيع وحرم الربا}[١١٣] فهو عام في كل أنواع البيع لكن يجئ الحديث النبوي ليخصص أنواعا بعينها بطريقة بعينها في البيع فيقول : ((الذهب بالذهب مثلا بمثل ويدا بيد والفضل ربا))[١١٤] إلخ ولا تعارض لأن السنة وهى البيان التفصيلي لما يجمل في القرآن كما تصرح الآية{وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم}[١١٥]

ومن النوع الثاني أي تعارض حديث مع حديث ما روى عن استحباب الوضوء عبد الأكل من طعام مسته النار مثل: من أكل لحم جزور فليتوضأ وتوضأوا فيما مست النار ثم جاء الحديث الآخر كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ترك الوضوء مما مست النار فلا تعارض هنا ولكن الحديث الأخير غير الحكم في الحديث الذي سبقه فهو ما يسميه علماء الحديث النسخ أي تغيير المتأخر للحكم المتقدم ولا تعارض فيه...

ومسائل كثيرة قد تحدث شبهة كاستثناء الخاص من العام كقوله تعالى {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا}[١١٦] ثم يأتي الحديث ليقيد حج النساء باشتراط أن يكون مع المرأة محرم((لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة

---

[١١١] . القصص : ٥٠
[١١٢] . المزمل : ٢٠
[١١٣] . البقرة : ٢٠٥
[١١٤] : مستخرج أبي عوانة
[١١٥] : النحل : ٤٤
[١١٦] : آل عمران : ٩٧

أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو ابنها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها))[١١٧] فهذا استثناء للخاص من العام وأيضا لا تعارض فيه . فهذه المسائل وغيرها قد عنى بدراستها وتوضيح ما يصنع الشبهة فيها

عنى بها علماء السنة وأفردوا لها التصانيف المختلفة التي حولتها من مواطن اشتباه أو مآخذ كما يتلمس الكارهون إلى حيث أصبحت جميعها مصدر سعة وثراء ورفع للحرج عن الإنسان في التشريع الإسلامي يحسب له ولا يعاب عليه

الشبهة التاسعة : إن حَمَلَة السنة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كانوا جنودا للسلاطين والملوك في العصر الأموي والعباسي فكانوا يضعون لهم من الأحاديث ما يوافق رغباتهم ويثبت ملكهم

الرد على هذه الشبهة :

ولقد أجاب الدكتور مصطفى السباعي على هذا الزعم الباطل في كتابه مكانة السنة في التشريع الإسلامي فقال : "إن أعداء الإسلام من غلاة الشيعة والمستشرقين ودعاة الإلحاد لم يصلوا ولن يصلوا إلى مدى السمو الذي يتصف به راوِ السنة من الترفع عن الكذب حتى في حياتهم العادية بل ولن يصل أعداء الإسلام إلى مبلغ الخوف الذي استقر في نفوسهم بجنب الله خشية ورهبة، ولا مدى استنكارهم لجريمة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال منهم من قال بكفر من يفعل ذلك وقَتْله وعدم قبول توبته إن أعداء الإسلام معذورون إذ لم يفهموا عن علمائنا هذه الخصائص لأنه لا يوجد لها ظل في نفوسهم ولا فَيَمن حولهم، ومن اعتاد الكذب ظن في الناس أنهم أكذب منه واللص يظن الناس لصوصا مثله وإلا فمن الذي يقول في قوم جاهروا بالإنكار على بعض ولاتهم لأنهم خالفوا بعض أح كام السنة وتعرض بعضهم للضرب والإهانة والتنكيل في سبيل الجهر بكلمة الحق من يقول: إن هؤلاء استباحوا لأنفسهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضيفوا إلى سنته أحكاما لم يقلها".ا هـ نعم إن قوما لم يحابوا في حكمهم على الرجال أحدا لا أبا ولا ابنا ولا أخا و لا صديقا ولا شيخا إن ذلك لَعنوانُ صدق ديانتهم ونزاهتهم وأمانتهم وعنوان إجلال الحفاظ للسنة النبوية الشريفة وأنها عندهم أغلى من الآباء والأجداد والأولاد والأحفاد فكانوا مضرب المثل في الصدق والتقوى والأمانة.

وهاك أمثلة على نزاهتهم في حكمهم على الرجال:

١- المجرِّحونَ لآبائهم:

الإمام علي بن المديني سئل عن أبيه فقال: "سلوا عنه غيري" فأعادوا المسألة، فأطرق ثم رفع رأسه فقال: "هُوَ الدِّينُ، إِنَّهُ ضَعِيفٌ".

٢- المجرحون لأبنائهم:

الإمام أبو داود السجستاني "صاحب السنن" قال: "ابني عبد الله كذاب". ونحوه قول الذهبي في ولده أبي هريرة: "إنه حفظ القرآن، ثم تشاغل عنه حتى نسيه".

٣- المجرحون لإخوانهم:

زيد بن أبي أنيسة قال: "لا تأخذوا عن أخي يحيى المذكور بالكذب".

٤- المجرحون لأصهارهم وأختانهم:

[١١٧] : أخرجه مسلم

شعبة بن الحجاج قال: " لو حابيت أحدا لحابيت هشام بن حسان كان ختني، ولم يكن يفظ".

٥- المجرحون لبعض أقاربهم:

أبو عروبة الحراني: "قال الذهبي في ترجمة الحسين بن أبي السري العسقلاني "قال أبو عروبة: هو خال أمي، وهو كذاب".

٦- ومن الذين لم يحابوا مشايخهم:

روى الإمام ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن مهدي قال : "اختلفوا يوما عند شعبة، فقالوا: اجعل بيننا وبينك حكما فقال: قد رضيت بالأحول يعني: يحيى بن سعيد القطان، فما برحنا حتى جاء يحيى فتحاكموا إليه فقضى على شعبة وهو شيخه ومنه تعلم وبه تخرج، فقال له شعبة: ومن يطيق نقدك - أو من له مثل نقدك - يا أحول؟!

قال ابن أبي حاتم:

هذه غاية المنزلة ليحيى بن سعيد القطان إذ اختاره شيخه شعبة من بين أهل العلم، ثم بلغ من عدالته بنفسه وصلابته في دينه أن قضى على شعبة شيخه ومعلمه". وبلغ من نزاهة أئمة الحديث أنهم كانوا لا يقبلون شفاعة إخوانهم للسكوت عمن يرون جرحه وكيف يرتضون تلك الواسطة وهم الذين طعنوا في أبنائهم وآبائهم وإخوانهم لما رأوا منهم ما يستوجب القدح

أما عن موقف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام من ملوكهم وأمرائهم فالنماذج المشرفة الدالة على ذلك كثيرة فمنها على سبيل المثال لا الحصر موقف أبي سعيد الخدري من مروان والي المدينة، وموقف ابن عمر من الحجاج وموقف الإمام الزهري مع هشام بن عبد الملك الأموي وغيرهم الكثير و الكثير[١١٨]

الشبهة العاشرة : اختلاف المحدثين في التويثق والتضعيف

لقد اعتبر الطاعنون اختلاف علماء الحديث في توثيق الرجال وتضعيفهم مطعنا في منهجهم، ويلزم من ذلك أن يوثقوا من لا يستحق التوثيق، ويضعفوا من لا يستحق التضعيف، وينتج عنه تصحيح أحاديث لم تبلغ درجة الصحة، ولذلك حكموا على كثير من الأحاديث بالصحة وهي ليست كذلك

الرد على هذه الشبهة :

ما وضعه علماء الحديث من قواعد وأصول ثابتة لتوثيق الرواة وتضعيفهم ينفي ما قالوا، ولم ينطلقوا رحمهم الله في تعدي ل الرواة وتجريحهم من هوى، وإنما كانوا يفعلون ذلك حسبة لله وتدينا، ولذلك كثر قولهم : "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم".

ولقد قام علم عظيم وضعت له القواعد وأسست له الأسس، وجعل مقياسا دقيقا ضبطت به أحوال الرواة من حيث التوثيق والتضعيف، ذلك "علم الجرح والتعديل" الذي لا نظير له عند أمة من الأمم

والذي يطالع كتب علوم الحديث يقف مبهورا أمام هذا العلم فائق الدقة، البالغ الإحكام، الذي لا يمكن أن يكون وضع صدفة أو جاء عفوا، وإنما بذلت فيه جهود، وتعبت فيه أجسام، وسهرت فيه أعين حتى بلغ إلى قمة الحسن ومنتهى الروعة.

ونتناول من هذا العلم ثلاثة أسئلة يتضح من خلالها فساد هذا الزعم وبطلانه

---

[١١٨] : http://www.shamela.ws

أولا: من هو الراوي الذي يقبل حديثه؟

ثانيا: كيف يوثق؟.

ثالثا: إذا تعارض فيه توثيق وتضعيف، ما العمل إذا؟ وما الذي أدى إلى ذلك ؟.

والجواب على هذه الأسئلة:

أولا: لقد نص علماء الحديث على صفات معينة متى توفرت تلك الصفات في شخص معين قبلت روايته واحتج بحديثه

قال ابن الصلاح – رحمه الله: "وأجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه. وتفصيله أن يكون مسلما بالغا عاقلا، سالما من أسباب الفسق وخ وارم المروءة، متيقظا غير مغفل، حافظا إن حدث من حفظه، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالما بما يحيل المعاني".

فهذا هو الثقة الذي تقبل روايته وهو الذي جمع بين شرطي العدالة والضبط . ثانيا: يوثق الراوي إذا ثبتت عدالته بالاستفاضة، أو باشتهاره بين أهل العلم بالثناء والخير، أو بتعديل عالم أو أكثر، وثبت ضبطه بموافقة روايته للثقات المتقنين في الغالب

ويقبل تعديل الراوي ولو لم يذكر سببه وذلك لكثرة أسباب التعديل ومشقة ذكرها

وأما جرحه فلا يقبل إلا إذا بين سببه؛ لأن الجرح يحصل بأمر واحد، ولا مشقة في ذكره، إضافة إلى اختلاف الناس في أسبابه

ثالثا: إذا تعارض جرح وتعديل في راو معين قدم الجرح إذا كان مفسرا ولو زاد عدد المعدلين، وعلى ذلك جمهور العلماء؛ لأن مع الجارح زيادة علم خفيت عن المعدل، فالمعدل يخبر عن ظاهر حال الراوي، والمجروح يخبر عن أمر باطن، وهذا شرط مهم؛ فإنهم لم يقبلوا الجرح إذا تعارض مع التعديل إلا إذا كان مفسرا، وهذا ما استقر عليه الاصطلاح

يقول الدكتور نور الدين عتر:

"لكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها في تقديم الجرح، فقد وجدناهم يقدمون التعديل على الجرح في مواطن كثيرة، و يمكننا أن نقول: إن القاعدة مقيدة بالشروط الآتية:

١. أن يكون الجرح مفسرا، مستوفيا لسائر الشروط

٢. ألا يكون الجارح متعصبا على المجروح أو متعنتا في جرحه

٣. أن يبين المعدل أن الجرح مدفوع عن الراوي، ويثبت ذلك بالدليل الصحيح

وهذا يدل على أن اختلاف ملحظ النقاد يؤدي إلى اختلافهم في الجرح والتعديل، لذلك قال الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال: "لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة". وهذا؛ لأن الثقة إذا ضعف يكون ذلك بالنظر لسبب غير قادح، والضعيف إذا وثق يكون توثيقه من لأخذ بمجرد الظاهر.

وقال الحافظ ابن حجر: "والجرح مقدم على التعديل، وأطلق ذلك جماعة ولكن محله إن صدر مبينا من عارف بأسبابه؛ لأنه إن كان غير مفسر لم يقدم فيمن ثبتت عدالته، وإن صدر من غير عارف بالأسباب لم يعتبر به أيضا، فإن خلا المجروح عن تعديل قبل الجرح فيه مجملا غير مبين السبب إذا صدر من عارف على المختار؛ لأنه إذا لم يكن فيه تعديل فهو في حيز المجهول، وإعمال قول المجروح أولى من إهماله".

كما أنه يجب أن يراعى عند الاختلاف حال المعدل والمجرح؛ لأن ذلك من القرائن التي يرجح بها عند الاختلاف في التوثيق والتضعيف.

قال الإمام الذهبي مبينا أقسام المتكلمين في الرجال من حيث التعنت والتوسط والاعتدال في الجرح والتعديل

1. قسم منهم متعنت في الجرح، متثبت في التعديل، يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث، ويلين بذلك حديثه، وهذا إذا وثق شخصا فعض على قوله بنواجذك، وتمسك بتوثيقه، وإذا ضعف رجلا فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه، فإن وافقه، ولم يوثق ذاك أحد من الحذاق، فهو ضعيف، وإن وثقه أحد فهذا الذي قالوا فيه: لا يقبل تجريحه إلا مفسرا، يعني لا يكفي أن يقول فيه ابن معين مثلا: هو ضعيف، ولم يوضح سبب ضعفه، وغيره قد وثقه ، فمثل هذا يتوقف في تصحيح حديثه، وهو إلى الحسن أقرب. وابن معين وأبو حاتم والجوزجاني متعنتون

٢. وقسم في مقابلة هؤلاء، كأبي عيسى الترمذي، وأبي عبد الله الحاكم، وأبي بكر البيهقي متساهلون.

٣. وقسم كالبخاري، وأحمد بن حنبل، وأبي زرعة، وابن عدي معتدلون منصفون.

وبعد فعلماء الحديث لم ينطلقوا في توثيقهم وتجريحهم، وتصحيحهم وتضعيفهم من خواء وتخبط، وإنما انطلقوا من قواعد متينة وأرض صلبة، في أحكامهم؛ ولذلك برزت هذه الأحكام إلى الوجود في منتهى الدقة، متفقة فيما بينها، متحدة لا شذوذ فيها، منسجمة لا تباين يعتريها، ويعجز كل هي أن ينقد ما أصلوه بنقد علمي لا مطعن فيه، وبحكم لا قادح فيه

وهذه شهادة أحد المستشرقين أنفسهم ينقلها الدكتور نورالدين عتر في هذه المسألة وهو (ليوبولد فايس) قال: "إننا نتخطى نطاق هذا الكتاب إذا نحن أسهبنا في الكلام على وجه التفصيل في الأسلوب الدقيق الذي كا ن المحدثون الأوائل يستعملونه للتثبت من صحة كل حديث، ويكفي من أجل ما نحن هنا بصدده أن نقول : إنه نشأ من ذلك علم تام الفروع، غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول، وشكلها، وطريقة روايتها

ولقد استطاع هذا العلم في الناحية التاريخية أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الأشخاص الذين ذكروا عن أنهم رواة أو محدثون، إن تراجم هؤلاء الرجال والنساء قد خضعت لبحث دقيق من كل ناحية، ولم يعد منهم في الثقات إلا أولئك الذين كانت حياتهم وطريقة روايتهم للحديث تتفق تماما مع القواعد التي وضعها المحدثون، تلك القواعد التي تعتبر على أشد ما يمكن أن يكون من الدقة. فإذا اعترض أحد اليوم من أجل ذلك على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة، فإن عليه هو وحده أن يثبت ذلك".[١١٩]

الشبهة الحادية عشرة: أن نقد المحدثين اقتصر على نقد الإسناد ولم يشمل نقد المتون

ومن شبهاتهم أيضا أن نقد المحدثين اقتصر على نقد الإسناد ولم يشمل نقد المتون يقول غاستون ويت: "وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض" ثم قال: "لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ثم جمعه الحفَّاظ ودوَّنوه إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن لذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية في أثناء روايتهم الحديث

[١١٩] http://www.shamela.ws .

الرد على هذه الشبهة :

لقد اهتم علماء الحديث اهتماما بالغا بدراسة متن الحديث واستوفوا تلك الد راسة وبذلوا قصارى جهدهم في العناية به بحيث لا يوجد مزيد على ما قدموه.

ولقد كان الهدف الذي يسعون إليه من دراسة الإسناد ونقده وهو تمييز صحيح الحديث من ضعيفة وحماية السنة من العبث والكيد كان ذلك مرتبطا ارتباطا وثيقا بنقد المتن، وقد بينا أن توثيق الراوي لا يتمإلا بثبوت عدالته وضبطه، وهذا الأخير إنما يعرف بمقارنة مرويات الراوي مع مرويات الثقات الآخرين

ومن الثابت الذي لا جدال فيه عند المحدثين أن صحة إسناد الحديث لا تعني بالضرورة صحة الحديث لأن من شروط الصحيح ألا يكون شاذا ولا معللا والشذوذ والعلة يكونان في السندكما يكونان في المتن فقد يصح إسناد حديث ما ويكون في متنه علة قادحة تقدح في صحته وهكذا الشذوذ ولذا لم تكن دراستهم قاصرة على الأسانيد وإنما بحثوا في علل المتون وشذوذها وجمعت أبحاثهم هذه في علل المتون والأسانيد في مصنفاتهم من كتب العلل وهي كثيرة

ومن أجل ذلك نشأت علوم لا تكتفي بدراسة الإسناد بل تعني بدراسة الإسناد والمتن جميعا فمن ذلك : الحديث المقلوب، والمضطرب، والمدرج، والمعلل، والمصحف، والموضوع، وزيادة الثقة

كما أنشئت علوم تتعلق بدراسة المتن خاصة من ذلك غريب الحديث، أسباب وروده، ناسخه ومنسوخة، مشكله، ومحكم ه وفي هذا بذل المحدثون جهدا لا نظير له ولا مثيل ومن جهودهم في دراسة المتن ما وضعوه من علامات وضوابط يعرف بها وضع الحديث من غير رجوع إلى سنده من ذلك:

١. ركاكة اللفظ في المروي: فيدرك من له إلمام باللغة ومعرفتها أن ذلك لا يمكن أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إذا صرح الراوي بأنه لفظه وإلا فمدار الركة على المعنى وإن لم ينضم إليها ركاكة اللفظ

٢. مخالفة الحديث لنص القرآن أو السنة المتواترة فما يخالف القرآن كحديث: "مقدار الدنيا وإنها ... آلاف سنة" فهو مخالف لقوله تعالى: {يَسأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرساهَا قُل إِنَّمَا علمُهَا عندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لوقتها إِلَّا هُوَ ثَقُلَت فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ لَا تَأتيكُم إِلَّا بغتَةً يسأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حفيٌّ عنها قُل إِنَّمَا علمها عندَ اللَّهِ}[١٢٠]

وَما يخالف السنة كأحاديث َم دح من اسمَه محَمد أو أحمد، وَأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار؛ والنار لا يجار منها بالأسماء والألقاب وإنما بالإيمان والعمل الصالح

٣. ما اشتمل على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم على الأمر الصغير، أو وعيد عظيم على فعل يسير : كحديث: من قال: لا إله إلا الله، خلق الله من تلك الكلمة طائرا له يقول الدكتور صبحي الصالح صاحب كتاب علوم الحديث و مصطلحه مؤكدا عدم تفرقة المحدثين بين السند والمتن في حكمهم على الحديث : "على أننا لا نرتكب الحماقة التي لا يزال المستشرقون، وتلامذتهم المخدوعون بعلمهم" الغزير" يرتكبونها كلما عرضوا للحديث النبوي، إذ يفصلون بين السند والمتن مثلما يفصل بين خصمين لا يلتقيان أو ضرتين لا تجتمعان، فمقاييس المحدثين في السند لا تفصل عن مقاييسهم في المتن إلا على سبيل التوضيح والتبويب

[١٢٠] . الأعراف : ١٨٧

والتقسيم، وإلا فالغالب على السند الصحيح أن ينتهي بالمتن الصحيح، والغالب على المتن المعقول المنطقي الذي لا يخالف الحس أن يرد عن طريق صحيح".

فعلماء الحديث – رحمهم الله – درسوا متن الحديث دراسة وافية يعرف قدرها من نظر إلى مؤلفات القوم وما تركوه من ميراث عظيم سارت على ضوئه الأجيال، واعترف بذلك المنصفون، فلا عبرة بما قاله غاستون ويت، ولا بما قاله كل حاقد يريد شرا بديننا القويم فنحن المسلمون بحمد الله نثق في علمائنا الأجلاء ونقدر لهم جهودهم، ونشكر لهم ما بذلوه من جهود في خدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ونشهد لهم بذلك وبسلامة منهجهم واستقامته ولا نلتفت إلى طعن الطاعن أو قول مبغض فيهم أبدا بل نكشف قوله ونرد كيده ونمحو أثره وصدق الله إذ يقول: { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}[١٢١]

الشبهة الثانية عشرة: الطعن في الأحاديث النبوية سندا ومتنا

ونقسمه إلى ما يلي:

أ – زعمهم أن الحديث مزيج من عقائد الأديان السابقة وأفكارها من اليهودية والنصرانية

يقول بروكلمان: "وأغلب الظن أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جدا، وهو أمر لم يكن مستغربا عند أصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرت العبادة الوثنية عن إرواء ظمئهم الروحي . وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد"

ويقول جولد تسيهر في كتاب "العقيدة والشريعة في الإسلام": "لكي نقدر عمل محمد – صلى الله عليه وسلم – من الوجهة التاريخية، ليس من الضروري أن نتساءل عما إذا كان تبشيره ابتكارا وطريفا من كل الوجوه ناشئا عن روحه، وعما إذا كان يفتح طريقا جديدا بحتا. فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف و آراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة حقيقية عند بني وطنه

ويرى ريتشارد بل: مؤلف كتاب "مقدمة القرآن": أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس، وبخاصة على العهد القديم في قسم القصص، فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية، وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل

ونقول للرد على هؤلاء: لا ريب أن هناك أموراً مشتركة كثيرة في التشريعات بين الإسلام والديانات الأخرى، مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، لأن مصدر الديانات كلها من عند الله الواحد الأحد، وكلها تأتي إلى البشر عن طريق الوحي إلى الرسل والأنبياء، ورغم أن الديانات السابقة أصابها التحريف والزيادة والنقصان إلا أنه بقي منها بعض الأمور التي وافق القرآن الكريم والسنة النبوية كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا

[١٢١] . الأنبياء : ١٨

والرَّبَّانِيُّونَ والْأَحبار بما استحفظُوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا النَّاس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلًا ومن لم يحكُم بما أنزل الله فأُولئك هم الْكافرون} {وكتبنا عليهم فيها أَنَّ النَّفْس بالنَّفْس والْعين بالْعين والْأَنْف بالْأَنْف والْأُذُن بالْأُذُن والسِّنَّ بالسِّنِّ والْجروح قصاص فمن تصدَّق به فهو كفَّارةٌ له ومن لم يحكُم بما أنزل الله فأُولئك هم الظَّالمون}[١٢٢]

ومما جاء أيضا في الإسلام ويوافق ما في التوراة ما ورد في حديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما: ((أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون، فقال عبدالله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبدالله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرجما، قال عبدالله فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة)).[١٢٣] ثم إنه لو كانت رسالة الإسلام مقتبسة من تلك الأديان لما جاء في كتاب الله تعالى الأمر بمخالفتهم ومحاربتهم، وعدم موالاتهم ونصرتهم، هذا فضلا عما اتصف به صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من صدق وإخلاص لهذا الدين، فلو كان للقرآن علاقة بالتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية من حيث الاقتباس، لرأينا الكثير من هؤلاء الصحابة ينقلون إلينا ذلك، ولكن لم يحدث شيء من هذا، وهذا دليل على بطلان قولهم من أن السنة مزيج من العقائد والأديان السقلب

ب – الطعن في رواة الحديث

كثر القول في رواة الأحاديث النبوية في كتابات المستشرقين ووسائلهم الأخرى، ووضعوا مجموعة من هؤلاء الرواة الثقات موضع الشبهة والتشكيك في رواياتهم لتأثرهم بالأحوال السياسية أو الاقتصادية التي كانوا يعيشون فيها، وكان على رأس قائمتهم علَمان كبيران ومن أعلام الرواية هما الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، والإمام الزهري رحمه الله، وكان جولد تسيهر من أوائل الذين كتب عنهما وافترى عليهما الفريات العظام، معتمدا في ذلك على الخلافات التي نشبت بين المسلمين بعد الخلافة الراشدة، والفتن التي مزقت الصف الإسلامي، فاستغلها أمثال تسيهر وغيره ليطعنوا في أهم مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وذلك بالطعن في رجال سنده. وهذه بعض الشبهات والتشكيكات التي أثارها المستشرق جولد تسيهر حول الإمام الزهري، وهي ليست كل الشبهات لأنها كثيرة، ولكننا نتناول هنا بعضها ونناقشها بموضوعية

يقول أجناس جولد تسيهر فيما يفتريه على الإمام الزهري : "ولم يكن الأمويون وأتباعهم ليهمهم الكذب في الحديث الموافق لوجهات نظرهم، فالمسألة كانت في إيجاد هؤلاء الذين تنسب إليهم، وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الأحاديث...إلخ".[١٢٤] ويقول أيضا: "إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعدا لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث : ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى))[١٢٥] ومنها حديث: ((الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه))

---

[١٢٢] . المائدة : ٤٤ - ٤٥
[١٢٣] . أخرجه البخاري : ٣٦٣٥
[١٢٤] . السنة ومكانتها في التشرلع الإسلامي صـ٢٠٦
[١٢٥] . تقدم تخريجه

وأمثال هذين الحديثين، والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث، أنه كان صديقا لعبدالملك وكان يتردد عليه وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طرق الزهري فقط.

إن هذه الفرية رددها هذا المستشرق وتبعه تلامذته من بعده، واقتنع بها كثير من أبناء المسلمين، وهي فرية قديمة حديثة ت بنتها الرافضة للطعن في كل رواية وردت في العهد الأموي أو ممن كانوا تحت الولاية الأموية، إلا أن التاريخ والشواهد الكثيرة والأدلة العلمية الواضحة التي لا شبهة فيها ولا غبار عليها، قادرة على نفي هذا التشكيك في أعظم شخصية إسلامية كالإمام الزهري الذي اتصف بالحزم والثبات في المواقف، وكان من أوائل الذين خدموا السنة بروايتها وتدوينها، إلا أن أقلام هؤلاء الأعداء لا يتركون أحدا من المخلصين من رجالات هذه الأمة، حتى يتحول التاريخ الإسلامي في أذهان المسلمين إلى مجرد صراع ونفاق وكذب، وبالتالي يكون هذا الدين كله مبنيا على أوهام وخرافات، ولكن هيهات لهؤلاء أن يدركوا أهدافهم ومآربهم، لأن الله تعالى حفظ هذا الدين بحفظ كتابه، على أيد أمينة وصادقة، وهذه الحقيقة تناقلتها الأجيال بعد الأجيال . وجعل الله تعالى جيل الصحابة من خير الأجيال، ثم الذين يلونهم، لأنهم جيل القدوة وجيل الرفقة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – والرفقة بأصحابه، فمهما كاد هؤلاء وأذنابهم فلن يصلوا إلى الغبار الذي كان تطؤه أقدامهم الطاهرة، ومن أجل أن تدحض فرية هؤلاء القوم على عالم جليل مثل الإمام الزهري، الذي عاش مع الصحابة وسلك نهجهم، لا بد من توضيح بعض الأمور منها

١ – الإمام الزهري هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، اتصف هذا العالم في عصره بالحرص الشديد على تلقي العلم والسعي الدؤوب من أجل الحصول عليه، كما اتصف بقوة الحفظ والذاكرة، واتصف بصفات أخرى كالكرم والسخاء والشجاعة وحسن الخلق، ومعروف عنه المواقف الثابتة لمن خالف شيئا من الدين، وشهد له بذلك شيوخه وعلماء الأمة

٢ – الأمانة التي اتصف بها الإمام الزهري، تجعل هذه الافتراءات ترتد على أصحابها وتقذف في عيونهم القذى وفي بصائرهم ضلالهم وحقدهم، إذ يتبين من خلال دراسة سيرة حياة هذا العالم أنه كان لا يقبل أدنى تنازل في أية جزئية من جزئيات الدين، فكيف لمن هذا شأنه أن يفتري على النبي – صلى الله عليه وسلم – ويضع الأحاديث حسب أهواء الأمراء والخلفاء؟ ويكفي هنا أن نذكر أحد مواقفه العظيمة أمام أحد خلفاء بني أمية عندما أراد أن يؤول حديثا في غير موضعه، حيث " دخل الزهري على الوليد بن عبدالملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات. قال الزهري: باطل يا أمير المؤمنين، أنبيٌّ خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قال: بل نبي خليفة، قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام: {يا داوود إنَّا جعلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرضِ فَاحكُم بينَ النَّاسِ بالْحَقِّ ولَا تَتَّبِعِ الْهوى فَيضلَّكَ عن سبِيلِ اللَّه إنَّ الَّذين يضلُّونَ عَن سبيلِ اللَّه لَهم عذَاب شَديدٌ بِمَا نَسوا يوم الْحسَاب}[١٢٦] ، فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفَة غير نَبي؟ قال الوَليد: إن الناس ليغووننا عَن دَيننا".

[١٢٦] . ص : ٢٦

٣ – إن كبار العلماء في الدولة العباسية أخذوا عن الزهري جميع الأحاديث والروايات، ولم يذكر أن أحدهم قدح فيه، من أمثال الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم، رغم أنه كان من رجال بني أمية، الذين لم يسلموا من مهاجمة العباسيين لهم في معظم أمورهم، وهذا دليل كاف للردِّ على المفترين الذين افتراوعلى هذا العالم الجليل.

٤ – أما بالنسبة لكلام تسيهر على منع عبدالملك بن مروان الناس الحج، وبناء قبة الصخرة ليحج الناس إليها وأمره الإمام الزهري بوضع حديث ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)) فإن هذا الكلام لا يستند إلى دليل علمي أو تاريخي، وإنما هو سرد مغلوط ومشبوه يراد منه كعادته إثارة التشكيك في التاريخ الإسلامي ورجالاته، وتنجلي الغمة، ويتضح الأمر من خلال الأمور التالية:

أ – أجمع المؤرخون قاطبة أمثال الطبري وابن خلدون وابن الأثير على أن الذي بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبالملك، وليس عبد الملك بن مروان، وكان الناس يقفون عندها في يوم عرفة، حيث كانت عادة المسلمين في كثير من البلاد حيث كانوا يخرجون إلى أطراف المدينة في هذا اليوم ويشاركون إخوانهم الحجاج في هذا اليوم، بالرغم من أن كثيرا من العلماء كرهوا هذا الفعل، فالأمر لم يكن مقتصرا على قبة الصخرة وإنما كان في كل مكان.

ب – لو كان كلام جولد تسيهر صحيحا على فعل عبدالملك بن مروان، لما سكت علماء الأمة من ذلك الوقت وإلى يومنا على ذلك، لأن منع الناس من الحج لبيت الله وإنشاء مكان آخر للحج فيه يعد كفرا، لا يقبل التهاون معه والمجاملة فيه

ج – يذكر المؤرخون أن الزهري لم يلتق بعبدالملك بن مروان في عهد ابن الزبير، وإنما كان أول لقاء بينهما بعد مقتل ابن الزبير حينما كان شابا، وإن السنة التي ولد فيها الزهري كانت إحدى وخمسين أو ثمانية وخمسين، وكان مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فيكون عمر الزهري عشرين عاما أو خمسة عشر عاما، وغير معقول أن يشتهر الزهري في هذه السن المبكرة ثم يفتي بالحج إلى قبة الصخرة بدلاً من الكعبة؟.

د – أما كلام تسيهر أن حديث "لا تشد الرحال" لم يروه غير الزهري فهذا باطل لا أصل له، فقد روي من طرق كثيرة غير طريق الزهري كما أخرجه البخاري ومسلم[١٢٧]

الشبهة الثالثة عشرة : الطعن في رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم –

إن الطعن في رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – يعني هدم الدين بالكامل لذلك ركز هؤلاء المستشرقون على الطعن في حقيقة الرسالة والوحي من السماء ليكون بمثابة هدم الصرح الذي يرتكز عليه الإسلام بالكامل، وذلك بالتشكيك في أصل الدين ومنبع أحكامه وأوامره ونواهيه، وبالتالي تتساقط المبادئ الأخرى تلقائيا، وهذا الأسلوب العدائي الناتج عن الحقد الغائر في صدور أولئك القوم كان الأسلوب نفسه الذي مارسه كبراء قريش وزعماء الشرك في الصدر الأول من عهد هذا الدين، حيث اته م المشركون الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأن ما يأتي به محمد ليس إلا نوعا من الجنون أو صرعا ينتابه في بعض الأحيان، فيأتيه وهو في حالته هذه بعض الأمور فيبثها على الصحابة من حوله، أو هو نوع من السحر يتعامل من خلاله مع الجن فيعلمونه أمورا

[١٢٧] http://www.shamela.ws .

يجهلها المجتمع العربي في ذلك الوقت، وغيرها من الافتراءات والأكاذيب التي لا سند لها ولا دليل، فكان ذلك بمنزلة طعن في الوحي والتشكيك فيه.

يقول المستشرق هنري ماسيه في كتابه "الإسلام": " ووفقا للتقاليد فإن محمدا تلقى في بادئ الأمر نوعا من الدوي فصار كأنه مصاب بالحمى، وشحب لونه وارتجف وتدثر بدثار، وهناك بعض المؤرخين – والبيزنطيون منهم على الخصوص – تحدثوا عن الصرع الذي يمكن أن يكون محمد مصابا به، ومن المعلوم في القرون الوسطى في الشرق كما في الغرب أن هؤلاء المرضى كانوا يتخيلون كأن روحا تمتلكهم، وقد أصبحت النوبات عند محمد مألوفة كثيرا ابتداء من الوحي الأول الذي حدث في شهر رمضان".

ويقول المستشرق واشنجتون آفنج في كتابه "حياة محمد" تحت عنوان "مسألة تعرض محمد لحالات من الصرع": "وهي المسألة التي يثيرها خصومه من الكتاب المسيحيين، ويبدو أن بعض المؤرخين المسلمين القدامى قد أيدوها، فذه بوا إلى أن محمدا كان يصاب برعدة عنيفة ثم بنوع من الإغماء أو التشنجات وفي خلال ذلك ينحدر من جبهته سيل من العرق البارد، فكان يرقد وعيناه مغلقتان وقد انتشر الزبد حول فمه... وكانت زوجته عائشة ومولاه زيد ممن وصفوا هذه الحالة وذكروا أنها تحدث له نتيجة نزول الوحي عليه، وقد انتابته هذه الحالة عدة مرات في مكة قبل نزول القرآن وخافت خديجة عليه، إذ ظنت أنها نتيجة تأثير الأرواح الشريرة، وأرادت استدعاء أحد المشعوذين ليفحصه، ولكن محمدا نهاها عن ذلك، فكان لا يحب أن يراه أحد خلال هذه النوبات".

للرد على هذه الأقاويل والدعاوى يجب معرفة ما يلي:

١ – لماذا هذا التشكيك في الوحي ووصفه بأنه ضرب من الصرع أو السحر، ألم يكن هذا الوحي نفسه الذي كان ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام؟ لماذا يكون هذا الوحي نتيجة صرع وقع على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وصدق وحقيقة مع موسى وعيسى عليهما السلام؟ أليس هذا الكلام نفسه نوع من الازدواجية في القياس والتحليل؟؛ بل إنه كراهية وحقد دفين في نفوس هؤلاء الغربيين تجاه هذا الدين الذي توسع بفضل الله تعالى ووصل إلى أقاصي الأرض

ثم إن الوحي كان ينزل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – بصور متعددة فأحيانا كصلصلة الجرس وأحيانا بصورة رجل، وأحيانا بصورته الحقيقية، كما ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: ((أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول". قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا)).[١٢٨]

٢ – أن الوحي الذي كان ينزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – بتلك الصور المتعددة لم يكن بينه وبين الصرع أي تقارب أو تشابه، لأن الصرع عندما يصيب الإنسان يفقده النطق والحركة وتصطك أسنانه وتزيغ عيناه، فأين هذا من الحالة التي كان عليها النبي عليه الصلاة والسلام وهو يتلقى الوحي ؟ ثم كيف يؤمن به الناس وهو يعاني مرض الصرع، وهو الذي يأتيهم بكلام فصيح وبليغ، تحدى العرب به عدة مرات في كتاب الله تعالى : {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادعوا

[١٢٨] . أخرجه البخاري ٣٢١٥

شهداءكم من دون اللَّهِ إِنْ كنتم صادقين} {فَإِنْ لَمْ تفعلوا ولَن تفعلوا فاتَّقوا النَّار الَّتِي وقودها النَّاس والْحِجارةُ أُعدَّت لِلْكَافرين}[١٢٩]

٣ - أن الحالات التي ذكرها هؤلاء هي محض افتراء وكذب وليس عليها دليل علمي، وإنما هي مجرد أقاويل، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما جاءه الوحي في المرة الأولى كان في غار حراء، ولم يسبقه شيء قبل ذلك كما يدعي هؤلاء حيث تقول عائشة رضي الله عنها: عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني . فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقْرأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذي خلَق} {خلَقَ الْإِنْسانَ منْ علَق} {اقْرأْ وربُّكَ الْأَكْرم}[١٣٠]

فَرجعَ بها رسول الله - صلى الله عليه وسلَم - يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمِّلوني زمِّلوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع".[١٣١]

وإن جبريل عليه السلام حين جاءه كان على صورته الحق يقية كما يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "ثم فتر عني الوحي فترة. فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض"[١٣٢]

وهذا يرد قولهم أن محمداً تلقى في البداية نوعا من الدوي

٤ - أما قولهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت تأتيه هذه الحالات قبل مجيء الوحي فإنه لا يستند إلى شيء، والتاريخ يثبت كذب هذا القول وزوره، لأن هؤلاء يريدون من وراء ذلك أن يفصلوا الوحي الحقيقي عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم - ، وعدَّه حالة قديمة معه عليه الصلاة والسلام. فأينَ المستند على ذلك؟!

٥ - أما قولهم وافتراؤهم على خديجة رضي الله عنها بأنها خافت عليه وخشيت أن يكون الوحي من الأرواح الشريرة، فإنه مردود عليهم بقول خديجة نفسها رضي الله عنها، عندما أخبرها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالوحي وقال: خشيت على نفسي، فردَّت أمنا رضي الله عنها: " كلا والله لن يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق".[١٣٣]

وأما قولهم: إنها ذهبت به إلى مشعوذ، فإن ذلك حمق وافتراء، لأن الذي ذهبوا إليه هو ورقة بن نوفل الذي تنصر وكان عنده علم من الكتب السماوية.

---

[١٢٩] . البقرة: ٢٣-٢٤
[١٣٠] . العلق: ١-٣
[١٣١] . أخرجه البخاري: ٣
[١٣٢] . أخرجه البخاري: ٣٢٣٨
[١٣٣] : أخرجه البخاري

الشبهة الرابعة عشرة: الطعن في شخصية النبي – صلى الله عليه وسلم –

أ – زعمهم انشغاله – صلى الله عليه وسلم – بالنساء

يقول غوستاف لوبون: "وضعف محمد – صلى الله عليه وسلم – الوحيد هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يُخْف محمد – صلى الله عليه وسلم –حبه للنساء، فقد قال: "حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة".

ولم يبال محمد بسن المرأة التي كان يتزوجها، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنوات، وتزوج ميمونة وهي في السنة الحادية والخمسين من عمرها.

وأطلق محمد العنان لذلك الحب، حتى إنه رأى اتفاقاً زوجة ابنه بالتبني وهي عارية، فوقع في قلبه منها شيء، فسرَّحها بعلُها، ليتزوجها محمد – صلى الله عليه وسلم – فاغتم المسلمون، فأوحي إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميا آيات تسوغ ذلك، فانقلب الانتقاد إلى سكوت ". ويقول جولد تسيهر في كتابه العقيدة والشريعة : "روي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "إنما حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء"[١٣٤]

وأضيف إلى ذلك فيما بعد: "وجعلت قرة عيني في الصلاة" وهذه الرواية وأمثالها تجعله بحق موضع اتهام خصومه الذين أخذوا عليه أنه لا يشتغل بغير النساء مما لا يتفق وصفة النبوة.

يقول الله تعالى: {ما لَهم به من عِلْم ولَا لآبَائهم كَبرت كَلمةً تَخْرج من أَفْواههم إِنْ يقولُونَ إِلَّا كَذباً}[١٣٥] يراد بذلك إحداث في عقيدة المسلم وتشكيكه في نبيه – صلى الله عليه وسلم – ورسالته، وذلك حَسَب أهوائهم وتصورهم البشري القاصر، ثم يكون هدم الفروع سهلاً عليهم، ولكن الله تعالى هيأ لحفظ هذا الدين رجالاً وعلماء استطاعوا بفضله جل وعلا أن يتصدوا لهؤلاء، يقول الله تعالى: {يثبِّت اللَّه الَّذين آمَنوا بالْقَول الثَّابت في الْحَياة الدُّنْيا وفي الْآخرة ويُضلُّ اللَّه الظَّالمين ويفْعل اللَّه ما يشاء}[١٣٦]

والعداء لهذا الدين قديم مَنذ أن أرسَل الله الأنبياء والرسل الأولى

{وكَذَلكَ جعلْنا لكُلِّ نَبِيٍّ عدُوًّا من الْمُجرمين وكَفَى بربِّك هَاديًا ونَصيرًا}[١٣٧]

وللإجابة عن هذه الشبهة نقول:

---

١٣٤ . السنن الكبرى للبيهقي

١٣٥ . الكهف : ٥

١٣٦ . إبراهيم: ٢٧

١٣٧ . الفرقان: ٣١

١ – إن الله تعالى أباح لنبيه – صلى الله عليه وسلم – الزواج لأكثر من واحدة، وهذا شرع الله الذي نحن به مؤمنون أبدا، وهذه عقيدة المؤمنين الصادقين عبر التاريخ الإسلامي الطويل من عهد النبوة إلى قيام الساعة، مهما تقول المبطلون، أو افترى الحاقدون، ولهذا الزواج في دين الإسلام حكَم وأسباب، تبيّن لنا بعضها وغاب عنا بعضها الآخر، من هذه الحكم التي نلمسها

أ – أن الرسول – صلى الله علَيه وسلم – يقول: ((النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوَّجوا فإني مكاثرٌ بكم الأمم. ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فإنَّ الصوم له وِجاء)).[١٣٨]

ب – تربية النفس على الطهارة والعفة بدلاً من إطلاق عنانها في دروب الرذيلة ومهاوي الخنا والفواحش، فربما احتاج الإنسان ليتزوج أكثر من واحدة؛ لحاجته إلى ذلك، فهناك من الرجال تكون غريزة الجنس عندهم قوية، لا يصبرون على واحدة فقط ولاسيما في حالات النفاس والحيض وغيرها، أو قد تكون الزوجة مريضة أو عقيمة، أو غير ذلك من الأسباب التي تدفع بالإنسان أن يتزوج بأخريات.

ج – زيادة عدد النساء وقلة عدد الرجال الذين تصيبهم المنية بأسبابها الكثيرة ولاسيما الحروب الطاحنة التي تعم أرجاء الأرض، وما تخلفه هذه الحروب من المآسي والكوارث البشرية من القتلى والمعاقين مما يقلل نسبة عدد الرجال وقدرة بعضهم على الزواج، فكان لزاما أن يتزوج الرجل الواحد أكثر من واحدة، حتى لا تنحرف النساء العازبات عن السقوط في شراك الرذيلة والفاحشة

٢ – إن الزواج بأكثر من واحدة كان جائزا في جميع الشرائع السابقة، كاليهودية والنصرانية التي ينتمي إليها معظم المستشرقين، مما يتبين لنا مما تكنه نفوس هؤلاء من حقد لنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم –.

3 – فلينظر هؤلاء المستشرقون ومن سار على دربهم إلى الحقيقة الناصعة التي يتهربون منها في كتاباتهم ومحاضراتهم، ألا وهي السن الذي تزوج فيها الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام خديجة رضي الله عنها، وهو سن الشباب وقمة الطاقة والقوة الجسدية والجنسية، لو كان عنده أهواء جنسية لاختار من أجمل بنات العرب مالاً ونسبا، وهو الشاب الأمين ومن نسب عريق وأصيل، إلا أن الله تعالى أراد أن يتزوج من خديجة التي كانت تكبره بخمس عشرة سنة، ليكون ذلك نقاء في صفحة حياته النقية أصلاً، ويكون صفعة في وجوه من أراد أن يبثّ حوله شبهة الشهوانية أو الهوى .

٤ – ثم إن مرحلة الشباب التي مر بها هذا النبي عليه الصلاة والسلام لتشهد له بما كان عليه من الفضائل والأخلاق من السلوك وصدق الحديث والأمانة وغيرها، حتى سمي بين قومه بالصادق الأمين

٥ – إن بيوت النبي – صلى الله عليه وسلم – كانت بفضل زوجاته بمنزلة مدارس تخرج المؤمنات الداعيات لهذا الدين، وكانت كل زوجة داعية وفقيهة تعلم النساء أحكام دينهن لقربهن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فكانت النسوة يترددن إليهن، ويسألن عما يشكل عليهن من أمور الدين كحقوق الزوج وأحكام الطهارة والتحلي بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام

٦ – لو كان التعدد من الأمور الشهوانية والبهيمية لدى المسلمين لاستباح دين المسلمين إطلاق العنان لأبنائه بأن يسرحوا ويمرحوا في عالم الشهوة والهوى ومع أكبر عدد من النساء كما كانت عليه العرب في الجاهلية وبيوت الخنا التي كانت ترفرف على أبوابها أعلام الفاحشة والفجور، وكما نلاحظه في العصر الحالي من الإباحية المطلقة والبهيمية الجامحة التي ليس لها ضوابط ولا روادع، بل إن معظم بيوت الفاحشة في أوربا وغيرها عبارة عن مؤسسات لها حصانة قانونية، ولها الحرية التامة في الدعاية والإعلان حتى

[١٣٨]. سنن ابن ماجه : ١٨٤٦

صارت مهنة وتجارة عالمية مربحة، ناهيك عن الدعم التي تجده هذه المؤسسات من القوى السياسية في تلك البلاد تحت راية الحريات الشخصية، حتى وصل بهم الحال أن يتزوج الرجال بالرجال، وصارت لهم منظمات ومراكز تعقد فيها عقود رسمية في المحاكم والدوائر الرسمية. أما عن نشاطات هذه المؤسسات والنوادي فهي قوية جدا، ولديها قوة إعلامية هائلة للدعاية والترويج والربح، والشاهد على ذلك الفضائيات التي تبث في الليل والنهار الأفلام الجنسية بشتى الصور والأشكال، وشبكات الإنترنت التي صارت من أكبر الميادين الدعائية لها. وحسبنا أن نعلم أن هناك ما يقارب اثنين وعشرين مليون موقع جنسي على شبكات الإنترنت، عدا المحادثات المباشرة على مدار الساعة وبالعملات الصعبة

هذه هي البهيمية الحقيقية والغريزة الحيوانية الجامحة من غير ضوابط وأحكام التي أفسدت المجتمعات الإنسانية وأخرجتها من إنسانيتها، واستولت على عقول الناس ولوَّثت صفاء العقول وبراءة النفوس بالشهوات والخبائث

والشيء الذي يأسف له القلب ويندى له الجبين أن هذه الثقافة الجنسية قد دخلت كثيرا من البلاد الإسلامية وإن لم تكن على نحو رسمي ولكنها موجودة ولها تجارها وعملاؤها

7- لم يكن من بين زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم – بكر إلا عائشة رضي الله عنها، أما الأخريات فأرامل وثيبات، والعاقل يدرك أن زواجه عليه الصلاة والسلام بهؤلاء النساء رضوان الله عليهن لم يكن بدافع شهوة أو هوى في النفس، وإنما كان زواجه بكل واحدة منهن لقصة وحكمة: فمثلاً تزوج النبي – صلى الله عليه وسلم – أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية وهي في الخامسة والخمسين بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، فهي مسنة وثيب، تقول عائشة رضي الله عنها : لما توفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه للنبي – صلى الله عليه وسلم –: أي رسولَ الله ألا تتزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا. قال: من البكر؟ قالت: بنت أحبِّ الخلق إليك عائشة بنت أبي بكر. قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة آمنت بك واتبعتك. فاختار النبي – صلى الله عليه وسلم – سودة حيث بقيت تعاني الوحدة بعد وفاة زوجها في مكة فخشي النبي –صلى الله عليه وسلم – أن ترجع إلى مكة ويفتنها أهلها في دينها فتزوجها –صلى الله عليه وسلم – ليحفظها ويستر عليها ويحميها من قومها الذين أسلم عدد كبير منهم بعد هذا الزواج

فإن النظر والإمعان في هذا الزواج فيه ما يردكيد المغرضين والطاعنين في شخص النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي عرض عليه البكر والمسنة الثيب فاختار المسنة رفقا بحالها وأنسا لوحدتها وحفاظًا على دينها وعقيدتها . وأما زواجه عليه الصلاة والسلام بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها التي كانت من سبايا بني المصطلق، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قصة زواجها من النبي – صلى الله عليه وسلم –: "وقعت جويرية بنت الحارث بن المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن عم له فكاتبت على نفسها وكانت امرأة ملاحة تأخذها العين قالت عائشة رضي الله عنها فجاءت تسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في كتابتها فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها، وعرفت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وإني كاتبت على نفسي، فجئتك أسألك في كتابتي. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: فهل لك إلى ما هو خير منه. قالت: وما هو يا رسول الله قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك . قالت: قد فعلت. قالت: فتسامع تعني الناس أن

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق

وقد كان هذا الزواج سببا في دخول بني المصطلق في الإسلام بعد معاداة طويلة على الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.

وهذا وحده كاف لمعرفة الحكمة من زواج النبي –صلى الله عليه وسلم – بذلك العدد من النساء.

وسائر الزوجات الأخريات رضوان الله عليهن أيضا كان لكل واحدة منهن شأن ديني ومصلحة دعوية، أو عطف إنساني، أو أمر رباني.

8- أما بالنسبة للحديث الذي يذكره هؤلاء المستشرقين "حبب إليَّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة" فإن كلمة (ثلاث) زيادة لم ترد في رواية من الروايات التي أوردها الإمام أحمد والنسائي، وجملة (وجعلت قرة عيني في الصلاة) من أصل الحديث وليست مضافة إلى الرواية فيما بعد كما يدعون، وهذا يدل على عدم دقتهم في البحث والتحري، وفيما يلي سرد لجميع روايات هذا الحديث ليتبين الحق من الباطل، ويعلم العقلاء والمنصفون حقيقة دعاوى هؤلاء المستشرقين

عن أنس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –((حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة)). وفي رواية أخرى ((حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة))[١٣٩]

وجاء الحديث في ثلاث روايات للإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه : أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" ((حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة)) وفي أخرى ((حبب إلي النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة)) بدون "من الدنيا".

ثم بعد ذلك نقول: هلاّ أتوا بالمصدر الذي اقتبسوا منه هذا الحديث وأن جملة " وجعلت قرة عيني في الصلاة " أضيفت إليه فيما بعد أو أنه عبارة عن تشويش فحسب؟!

٩- أما الشبهة التي ذكرها أحد المستشرقين حول قصة زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زوجة ابنه بالتبني، فقد رواها مغلوطا وبرواية غريبة، وقد علل هذا المستشرق حسب هوى نفسه قصة هذا الزواج ليطعن في شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – وموقفه من النساء، وفيما يلي بيان بحقيقة هذا الزواج ومعالمه: قال ابن كثير في تفسيره: قال العوفي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: قوله تعالى: { وما كَانَ لمُؤْمنٍ ولَا مُؤْمنَة إذَا قَضى اللّه ورسولُه أَمرا أَنْ يكُونَ لَهم الْخيَرةُ من أَمْرهم ومن يعصِ اللّه ورسولَه فَقَدْ ضلَّ ضَلَالًا مبينًا }[١٤٠] وذلك أنَّ رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – انطلق ليخطب عَلى فَتاه زيَدَ بن حارثة –رضي الله عنه– فدخل على زينبَ بنت جحش الأسدية –رضي الله عنها– فخطبها، فقالت: لست بناكحته. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:(بلى فانكحيه). قالت: يا رسول الله أؤامر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله – صلى الله عليه وسلم

---

[١٣٩] . سنن النسائي

[١٤٠] . الأحزاب : ٣٦

قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :(نعم) قالت: إذن لا أعصي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أنكحته نفسي.

وزيد كان قد سبي في الحرب واشترته خديجة رضي الله عنها وأهدته إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم – الذي خيره بين أن يذهب مع أبيه أو يبقى معه، فقال: ما أنا بمفارق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال عليه الصلاة والسلام:((اشهدوا أنه حر وأنه ابني يرثني وأرثه)) فسمي لذلك زيد بن محمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن زيد بن حارثة مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن {ادعوهم لآبائهم هو أقسطُ عندَ اللَّه فإنْ لم تعلَموا آبلءهم فإخوانُكُم في الدِّينِ ومَواليكُمْ ولَيس علَيكُم جناح فيما أَخطأْتُم به ولَكن ما تعمَّدَتَ قُلُوبكُم وكَانَ اللَّهَ غَفورا رحيماً}[١٤١]

وأما الأسبابَ والظروف التي كانت وراءَ زواج زيد بزينب رَضي الله عنهما ثم افتراقهما وزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – بزينب فيمكن إيجازها بما يلي أن ذلك كان أمراً ربانياً أولاً وآخراً، لا نستطيع أن نجادل في ذلك بشيء، فهو أعلم بخلقه، وأعلم بشؤونهم جميعا، ما ينفعهم وما يضرهم، وينزل إليهم ما تتحقق به مصالحهم وتسير بها أمورهم . فكان زواج زيد من زينب أمراً من رب ا لعالمين وكان طلاقها كذلك، وبالتالي كان زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – بزينب أيضاً أمراً ربانياً، والرسول – صلى الله عليه وسلم – المبلغ والمنفذ لأمر خالقه عز وجل، فكل ما حدث بهذا الموضوع كان تدبيراً إلهياً عظيماً.

كان في زواج زينب من زيد رضي الله عنهما – حسب ما تبين لنا– أمر إنساني عظيم وهو إزالة الفوارق الطبقية الموروثة والنظرة الدونية التي كانت سائدة في أوساط القبائل إلى غيرهم من العبيد والموالي

إبطال عادة التبني التي كانت منتشرة عند العرب وهي: أن يعجب الرجل بأحد الأطفال أو الفيئان فيتبناه ويدعوه ابنه ويلحق بنسبه فيتوارث وإياه توارث النسب ويعامل معاملة الابن في جميع الحقوق والواجبات . وتحدث عادة التبني غالباً في سبايا الحروب حين يؤخذ الأطفال والصبيان أثناء الغارات، فمن شاء أن يلحق بنسبه واحداً منه فعل ذلك من غير إحراج . ورد الأدعياء إلى آبائهم، لقول الله تعالى: {ما جعل اللَّه لرجلٍ من قَلْبَين في جَوْفه وما جعل أَزْواجكُم اللَّائي تُظَاهرونَ منْهنَّ أُمَّهاتكُمْ وما جعل أَدْعياءَكُمْ أَبناءَكُم ذَلكُمْ قَولُكُم بأَفْواهكُمْ واللَّه يقُولُ الْحقَّ وهو يهْدي السَّبيل} {ادعوهم لآبائهم هو أَقْسطُ عندَ اللَّه فإنْ لم تعلَموا آباءهم فإخوانُكُم في الدِّينِ ومَواليكُمْ ولَيس علَيكُم جناح فيما أَخطأْتُم به ولَكن ما تعمَّدَتَ قُلُوبكُم وكَانَ اللَّهَ غَفورا رحيماً}[١٤٢] ولاسيما وأن العلاقات بين زيد وزينب قد اضطربت وبدأ زيد يشكو إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذا الاضطراب، وأنه غير قادر على الاستمرار معها.

فعن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول ((اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس لو كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم –كاتما شيئا لكتم هذه))[١٤٣]

---

[١٤١] . الأحزاب:٥

[١٤٢] . الأحزاب:٤-٥

[١٤٣] . أخرجه البخاري

5- وكان في النهاية زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب، حسب ما جاء في قوله تعالى : {وإذْ تقول للّذي أنعم اللّه عليه وأنْعمت عليه أمْسكْ عليك زوجك واتّق اللّه وتُخْفي في نفْسكَ ما اللّه مبْديه وتخْشى النّاس واللّه أحقُّ أنْ تخْشاه فلمّا قضى زيدٌ منْها وطرا زوّجناكَها لكي لا يكُونَ على الْمُؤْمنين حرج في أزْواجِ أدْعيائهمْ إذا قضوا منْهنّ وطرا وكان أمر اللّه مفْعولا}[١٤٤].

حيث لم يعقد عليها كما عقد على سائر زوجاته، يقول أنس رضيَ اللهَ عنه : ((فكانت زينب تفخر على أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات))[١٤٥]

وأظن أن هذا البيان كاف لإزالة الشبهة، ودحض الافتراء الذي يردده المستشرقون وبعض أذنابهم حول قصة زواج النبي –صلى الله عليه وسلم – من زينب رضي الله عنها. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن كثيرا من المستشرقين وأذنابهم من بعض المستغربين يخافون من المد السكاني الإسلامي وخطره على أفكار شعوبهم وبلادهم ومصالحهم، مما يدفع بهم بين الفينة والأخرى إلى نشر الكتب وعقد الندوات والمحاضرات والمؤتمرات التي تطالب بالحد من التعدد، وتحديد النسل بحجة التنظيم أو بهدف الحصول على الرخاء الاقتصادي والاجتماعي في بلاد المسلمين التي يكثر فيها التعدد ويتزايد فيها الإنجاب[١٤٦]

الجواب الإجمالي على من أنكر حجية السنة وعلى هذه الشبهات والإفتراءات

من المتفق عليه أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر الاسلام بعد القرآن ويجب اتباعها كما يجب اتباع القرآن لأن الله تعالى يقول { وما آتاكم الرسول فخذوا وما نهاكم عنه فانتهوا } وقال أيضا { يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول } وتواترت النصوص على وجوب اتباعهما برمتهما في حياة الإنسان فلم يجد الإنسان بدا من التذلل له والمحبة لله والنبي صلى الله عليه وسلم فلأن المحبة دلالة على اتبا عه حيث ورد هذا الذكر في المصدرين فقال تعالى { إن كنتم تحبون الله فاتبعوني }[١٤٧]

---

١٤٤ . الأحزاب:٣٧

١٤٥ . أخرجه البخاري

١٤٦ . www.shamela.ws

١٤٧ . آل عمران : ٣١

أما المحبة في الله فهي أيضا علامة لمحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم لأن أقواله وأفعاله وأحواله فهذه كلها معتبرة عنها بالشريعة من حيث الأدلة فلأن رسول الله صلى الله ولم يروى شيئا كم االستحسن قلبه وكل شيء ديانة من عند رب العالمين فأقوى دليلة عليه قوله سبحانه تعالى { وما ينطق عن الوى إن هو إلا وحي يوحى } فهذه الآية فيه دليلة صريحة قوية على عدم جواز استحسان الشيء شرعيا إلا ما ورد في الكتاب والسنة ولكن مما يؤسف له في عصرنا هذا تتجرأ عقول المتزلفين لإبدالهما والتحريف ولأن هذا الأمر مما وقع عند مطلع ظهور الإسلام لكن الله سبحانه الله تعالى يتحدى على الإحتفاظ على هذا القرآن المنزل ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون }[١٤٨] لا شك فيه البتة أنه لا توجد فيه الأخطاء والزلات ل لمجتمع الأسلامي بأسره ولايغيب ببالنا أن تكلفل الله بحفظ القرآن كما تكفل بحفظ سنته المصطفى صلى الله عليه وسلم .فلأن السنة مبينة لأحكام القرآن ولايكاد يوجد أي تقصير ولاالإبهام لأن الله سبحانه وتعالى قال: {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيئ } وهكذا وردت النصوص على وجوب الإتباع بالكتاب وسنة رسول صلى الله عليه وسلم .

وكذا ولم تكن الأحاديث بدا لتباعها في حياة الإنسان لأنها وحي من الله ولا يضل من اتبعهما في سبيل الردى فلأن الهداية والنجاة في اتباع الرسول حيث قال ((تركت فيكم شيئين لن تضلوا ماتمستكتم بهما كتاب الله وبسنتي)) وقال صلى الله عليه وسلم ((تركتكم على البيضاء التي ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك))[١٤٩]فلأن السنة أمر عظيم لهداية الورى ومن أعرض عنها تخطفته ايدي الهلاق وظل في سبيل الهلاك

فقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ((خذي أني مناسككم)) وهذه الأحاديث كلها جاءت على طريق الوجوب بالإعتصام بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

أما المشتسرقون المتزلفون وأذنابهم فيقدمون العقل على النقل لتشويه هذا الدين الخالص ولإهلاكه كليا فكأنما في عقولهم مرض ولذا لم يعقلوا فضربوا بكل شيئ عرض الحائط إلا ما استحسنت عقولهم .ولو كانت عقولهم سليمة فعقلوها أما هؤلاء الجهال فيقدمون عقولهم على النقول الواردة عند تعارض النقل . والنقل أولى أن يقدم على العقل .إن الذي يعرض عن أحاديث المصطفى وقع في شبكة الشرك والكفر به ولأن المصدرالثاني أيضا وحي من الله فيجب قبوله برمتة بقلب سليم بلا شك و لاريب قط .عندما نعتبر إعتبار التدقيق إلى خلفية هذه الشبهات والإفتراعات يتبين لنا أن هؤلاء المشتسرقين هم من اليهود والنصارى .فهؤلاء قد آمروا بتشوية صاحب هذا الدين ولإستئصاله كليا عند مطلع ظهوره ووقع الرعب والخوف من نشئته في ربوع العالم . لذا تجرعوا على طعن على رسالة صلى الله عليه وسلم الخاتمة وطعنوا على الصحابة رضوان الله عليهم وعلى الذين جاءو من بعدهم يحملون كتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم . لنزع عزتهم ومكانتهم ومنزلتهم وحسن تصرفاتهم من قلوب المسلمين وغيرهم ليفر من يرى هذا الدين . الله المستعان على ما يصف هؤلاء الجهال .ونعوذ بالكفر بعد الإيمان .....

[١٤٨] . الحجر : ٩
[١٤٩] . أخرجه ابن ماجه

الخاتمة

الحمد لله هادئ القلوب ومدافع القرآن والسنة والصلاة والسلام عل ى أشرف من أوضحها للأمة عن طريق البينة وعلى آله وصحبه ومن سار على الطريق النبوية إلى يوم القيامة . أما بعد .

فبفضل من الله ومنه أتممت هذا البحث الصغير الذي موضوعه " الرد على شبهات المستشرقين حول السنة "

فلله الحمد والشكر على ما يسر لي من إتمام هذا البحث العلمي الذي أوضحت فيه الاستشراق والمستشرقين ، وخطيرتهم ، وأهدافهم ، وشبهاتهم في السنة النبوية ، والرد عليهم ، ومكانة السنة في الإسلام ، وأهميتها ، وأنواعها قدر ما استطعت .

وما كان فيه من صواب وخير فمن الله ، وما كان فيه من خطأ فمني . ورجائي من اطلع على خلل أو خطأ في هذا البحث أن يصلحه ويطلعني عليه مشكورا .

أختم بحثي الصغير هذا راجيا من الله التوفيق والاستقام ة والسداد في الدين وأن ينفعني به والمسلمين ، وأن يثيبني ومن ساعدني في انجاه هذا البحث خير ثواب في الدارين . وسائلا المولى عز وجل أن يتقبل مني هذا الجهد الضئيل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .ويجنبني ويعصمني والمسلمين جميعا من خطو رة هؤلاء المستشرقين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

كلية ابن عباس العربية – جالي

الاثنين ١٧/١/١٤٣١ هـ

الموافق ٤/١/ ٢٠١٠ م

بقلم

أخيكم في الله

محمد عرفان بن زين العابدين

جالي – كلية ابن عباس العربية

فهرس الآيات

الآيات	السورة	رقم الآية
قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفرلهم	الأنفال	٣٨
سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا،ولن تجد	الاسراء	٧٧
سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ...	الفتح	٢٣
ومن أصدق من الله حديثا	النساء	٨٧
وعلمتني من تأويل الأحاديث	يوسف	١٠١
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك	البقرة	٣٠
حموما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يو حى.....	النجم	٣-٤
وإذ نادا ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم	الشعراء	١٠
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	الحشر	٧
ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	النساء	٥٩
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو	النور	٦٣
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا	الأحزاب	٣٦
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر	النساء	٦٥
من يطع الرسول فقد أطاع الله	النساء	٨٠
ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ.....	الأنعام	٣٨
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ.....	النحل	٨٩
وما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ.....	الأنعام	٣٨
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.....	المائدة	٦٧
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.....	الأحزاب	٢١
ولا تقف ما ليس لك به علم	بني إسرائيل	٣٦
إن يتبعون إلا الظن	النجم	٢٣
قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي.....	يونس	١٥
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ	القصص	٥٠
{ فاقرأوا ما تيسر من القرآن.....	المزمل	٢٠
وأحل الله البيع وحرم الربا.....	البقرة	٢٠٥

وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس.....	النحل	٤٤
ولله على الناس حج البيت	آل عمران	٩٧
يسأَلُونَكَ عن السَّاعة أَيَّانَ مرساها.....	الأعراف	١٨٧
{بل نقذفُ بالحقِّ على الباطل	الأنبياء	١٨
إنَّا أَنزلْنا التَّوراة فيها هدى ونور	المائدة	٤٤- ٤٥
يا داوود إنَّا جعلْناكَ خليفةً في الأَرض	ص	٢٦
وإنْ كنتم في ريب ممَّا نزَّلْنا على عبدنا	البقرة	٢٣- ٢٤
اقْرأْ باسم ربِّك الَّذي خلَق	العلق	١-٣
ما لهم به من علْم ولا لآبائهم كبرت كلمة ○.....	الكهف	٥
يثبِّت اللَّه الَّذين آمنوا بالْقول	إبراهيم	٢٧
وكَذَلكَ جعلْنا لكُلِّ نبيٍّ عدوًّا	الفرقان	٣١
ادعوهم لآبائهم هو أَقْسطُ عنْد اللَّه	الأحزاب	٥
ما جعل اللَّه لرجل من قَلْبين في جوفه	الأحزاب	٤-٥
وإذْ تقولُ للَّذي أَنعم اللَّه عليه	الأحزاب	٣٧
إن كنتم تحبون الله فاتبعوني	آل عمران	٣١
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لح فظون	الحجر : ٩	٩

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الراوي	المخرج
لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ..	أبي سعيد الخدري	رواه البخاري ومسلم
من سن في الاسلام سنة حسنة	جرير بن عبد الله	رواه مسلم
إنما الأعمال بالنيات	عمر بن الخطاب	رواه البخاري ومسلم
خرج رجلان في سفر	أبي سعيد الخدري	رواه أبو داود والنسائي
كيف تقضي إذا عرض لك قضاء .	معاذ بن جبل	رواه أبو داود)
صلوا كما رأيتموني أصلي	مالك بن الحويرث	رواه البخاري
خذوا عني مناسككم		أخرجه مسلم وأحمد والنسائي
أخبروه أن الله يحبه	عمرة بنت عبد الرحمن	رواه البخاري ومسلم
يد الله ملأى لا يغيضها	أبي هريرة	أخرجه البخاري
أنا عند ظن عبدي بي	أبي هريرة	أخرجه البخاري ومسلم
نضر الله امرءاً سمع مني.....		رواه الترمذي وغيره
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ..	أبي هريرة	أخرجه البخاري ومسلم
لا تكتبوا عني	أبي سعيد الخدري	رواه مسلم
اكتبوا لأبي شاة	أبي هريرة	خرجه البخاري
ما كان أحد أعلم بحديث	أبي هريرة	أخرجه البخاري
اكتب، فوالذي نفسي بيده	عن عبد الله بن عمرو	أخرجه أبوداود
ائتوني بكتاب أكتب لكم.....	ابن عباس	أخرجه البخاري
كنت وجار لي من الأنصار	عمر بن الخطاب	أخرجه البخاري
اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما...	ابن عمر	أخرجه البخاري
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ...	ابن عباس	أخرجه البخاري
أوصيكم بتقوى الله والسمع.....	عبد الرحمن بن عمرو السلمي	أخرجه أبوداود
من كذب علي متعمداً	أبي هريرة	رواه الشيخان
كنا قعودا نكتب ما نسمع	أبي هريرة	رواه أحمد

ليبلغ الشاهد الغائب	أبي بكرة	أخرجه البخ اري ومسلم
لا ألفين أحدكم متكئا	عبيد الله بن أبي رافع	أخرجه أبوداود
قلت يا رسول الله أأقيد العلم ...	عبد الله بن عمرو	المعجم الكبير للطبراني
كنت أكتب كل شيئ أسمعه	عبد الله بن عمرو	مسند أحمد
ألا هل عسى رجل يبلغه.....	المقداد بن معدي كرب	روا ه الترمذي
الذهب بالذهب مثلا بمثل....	فضيل بن غزوان	مستخرج أبي عوانة
لا يحل لامرأة تؤمن بالله.....	عبد الله بن عمر	أخرجه مسلم
أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس.	أم المؤمنين عائشة	أخرجه البخاري ٣٢١٥
النكاح من سنتي.....	عائشة	سنن ابن ماجه : ١٨٤٦
حبب إلي من الدنيا النساء والطيب	أنس	سنن النسائي
اتق الله وأمسك عليك زوجك،.	أنس	أخرجه البخاري
فكانت زينب تفخر.....	أنس	أخرجه البخاري
تركتكم على البيضاء	عبد الرحمن بن عمرو السلمي	أخرجه ابن ماجه

فهرس الأعلام

❖ ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب حبر هذه الأمة دعا رسول الله بالحكمة والتأويل توفي سنة ٦٧ هـ (تهذيب الأسماء واللغات ١ /٢٨٨)

❖ ابن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي الصحابي شهد الخندق ، وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد المكثرين رواية الحديث توفي سنة ٧٣ هـ .

(تهذيب الأسماء اللغات ١ / ٢١١)

❖ عبد الله بن مسعود : هو أبو عبد الرحمان عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي سادس ستة في الإسلام وشهد مع رسول الله بدراوأحدا وشهد له رسول الله بالجنة وتوفي سنة ٣٢هـ (تهذيب الأسماء واللغات ٢/٤٠٣)

❖ عائشة :هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر تزوجها رسول الله بمك ة وهو بنت ست ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة وتوفيت سنة ٥٧ هـ (الوافي ٣٩٧)

❖ وهبة الزهيلي : هو الدكتور وهبة الزهيلي أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق كلية الشريعة من مؤلفاته :الفقه الإسلامي وأدلته، التفسير المنير .

❖ البخاري : هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسمائيل الجعفي صاحب جامع الصحيح أمير المؤمنين في الحديث أجمع الناس على صحة كتابه الصحيح ولد سنة ١٩٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ .

(تهذيبالأسماء اللغات ١/٤٤)

❖ ابن كثير : هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن الدمشقي عماد الدين أبو الفداء الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه الشافعي محب بن تيمية ومن مصنفاته البداية والنهاية وتفسير بن كثير توفي سنة ٧٧٤هـ

❖ الإمام الشافعي : هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي ، أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة ولد بمدينة غزوة سنة ١٥٠ هـ ثم رحل إلى مكة وحفظ القرآن وهوابن تسع سنين ، اشتهر بالفقه،واللغة والشعر أشهر مألفاته ((الأم)) توفي سنة ٢٠٤ هـ .

❖ الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله الفقيه المحدث إليه ينسب المذهب الحنبلي كان إماما في الفقه والحديث والزهد والورع له كتاب المسند بإمام أهل السنة ولد ١٢٤ هـ توفي سنة ٢٤١ هـ .

❖ الإمام أبو حنيفة : هو نعمان بن ثابت بن طاوس أبو حنيفة الفقيه الكوفي إليه ينصب المذهب الحنفي كان عالما عاملا زاهدا عابدا ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ . (البداية والنهاية)

❖ إبن حزم : هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ولد في قرطبة من رمضان عام ٣٨٣هـ فكان أولا على مذهب الشافعية غير أنه لم يطل مكثه فيه إذ تحول إلى مذهب الظاهري فبرع فيه وقد سجن مرات وكان عميق الإدراك رقيقا لينا كما ك ان مثابرا على العلم أمينا النقل حافظا للنص توفي رحمه الله سنة ٤٥٦ هـ .

❖ ناصر الدين الألباني : هو محمد ناصر الدين الألباني بدأ الشيخ حياته العلمية في دمشق فحفظ القرآن تلاوة وتجويدا ومن مشايخه أبوه نوح وسعيد البر هان وراغب الطباخ وقد اعتقل الشيخ في سجن القلعة الذي حبس فيه ابن تيمية وابن القيم وهويلقب بمحدث العصر وله تصانيف وتحقيقات كثيرة وتوفي الشيخ يوم السبت من أكتوبر عام ١٩٩٩هـ .

❖ ابن عبد البر :هو الإمام الحافظ أبو عم ر ،يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المالكي ، الفقيه المحدث ، برع في العلم ، وله مؤلفات كثيرة في كل فن منها :التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد والإستذكار . وكلاهما في الحديث وتوفي سنة ٤٦٣هـ .

المصادر والمراجع

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة
صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري	الطبعة الأولى
صحيح مسلم	ابوالحسن مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري	الطبعة الرابعة
تلخيص الحبير	شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر الكناني العسقلاني الشافعي .	الطبعة الثانية
ضوابط الرواية	الصديق بشير نصر	الطبعة الأولى
اظهار الحق	رحمة الله بن خليل الرحمن الكيراني العثماني الهندي	الطبعة الثالثة
مباحث في علوم القرآن	مناع القطان	الطبعة الأولى
البرهان	الجويني	الطبعة الأولى
موسوعة أهل السنة والجماعة	عبد الرحمان الدمشقي	الطبعة الأولى
دفاع عن السنة	محمد بن محمد أبو شهبة	الطبعة الأولى
تيسير مصطلح الحديث	محمود الطحان	الطبعة العاشرة
تاريخ التشريع الإسلامي	مناع القطان	الطبعة الخامسة

فهرس الموضوع

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣-٤
خطة البحث	٥-٦
الاستشراق تعريفه، وتاريخه	٨-٩
الاستشراق أهدافه وأغراضه	١٠-١٢
السنة في مفهوم المستشرقين	١٢-١٣
إيجابيات الإستشراق	١٣
تأثير أفكار المستشرقين	١٤-١٥
السنة وتعريفها	١٧-١٨
الحديث وانواعه	١٩-٢١
الفرق بين الحديث القدسي	٢٢-٢٤
حجية السنة	٢٤-٢٦
شبهات المستشرقين	٢٨
الشبهة الأولى	٢٨-٢٩
الشبهة الثانية	٢٩-٣١
الشبهة الثالثة	٣١-٣٣
الشبهة الرابعة	٣٣-٣٦
الشبهة الخامسة	٣٧-٤١
الشبهة السادسة	٤١-٤٥
الشبهة السابعة	٤٥-٤٨
الشبهة الثامنة	٤٨ - ٤٩
الشبهة التاسعة	٤٩-٥٠
الشبهة العاشرة	٥٠-٥٣
الشبهةالحادية عشرة	٥٣-٥٤
الشبهة الثانية عشر	٥٤-٥٨
الشبهة الثالثة عشرة	٥٨-٦٠

الشبهة الرابعة عشرة ٦١- ٦٦
الجواب الإجمالي ٦٧- ٦٨
الخاتمة ٦٩
فهرس الآية ٧٠- ٧١
فهرس الأحاديث ٧٢- ٧٣
فهرس الموضوع ٧٤- ٧٥
فهرس الأعلام ٧٦
المراجع ..... ٧٧ - ٧٨